كلمات لا لآلئ

◆

شاهدت « امفيون » آخر ، يستطيع بقدرة عزفه على عوده ان يقلقل الكلمات ، التي هي كالحجارة الحساسة . وهكذا تغدو الاغنية كالعمارة .

كل كلمة تلقى مكانها الناطق ، وتجعل كل ما يولد الافكار الجديدة لامعاً بكل ما أوتيت من روح ! وهذه هي القصيدة التي اريدها .

قد يمكن الغناء جيداً بدون تكلم ، ويمكن التكلم جيداً بدون غناء ! ولكن الذي يفكر — في البدء — يكتب نثراً وان كان بقافية . ومـا تجدي اذ ذاك القافية ؟ القافية الحقيقية تشيء فراغاً ، او دعوة النغمة ، فتكون كلمة ، وهذه الكلمة تخلق فكرة .

البادرة الاولى من افكارنا ليست فكرتنا الاولى ، فالرجل الذي يشكو يردد مـا يقول كل الناس . وليس اكثر ابتذالاً من المجنون ! وهكذا حين نشاهد شجرة نقول حالاً : هذه شجرة ، اي هذا كائن نباتي ، لا نجار متلون بالوان قوس قزح ! النحات يفقد قيمته اذا اخذ يفكر ، والمصور يمتنع عن التفكير .

هذا الشرط الذي يبدو غريباً يتردد ايضاً عند الشاعر ، لانـه يستخدم الفاظاً تخاطبه ، انه يسكت جميع هؤلاء الثرثارات ، لانه لا ينبغي لها ان تتكلم الا مرة واحدة في مواطنها بالصدى والرنين !

وهكذا نجد وجوهاً في تجاعيد جدار متردم ، ونسمع الفاظاً في صوت لحد حقير . اما الشعر الجيد فتتفاوت جودتـه بحسب انشاده .

الناظم لا يمسكني ابداً ، لكني اذا امسكته ، اراه يأتي فأتياً له : انهيها ، فبكرة هرمة تتزين قبل ان تظهر ! لا شيء أشد خطراً في الفكرة من الولادة . والشاعر وحده يحدد ميعاد ولادتها !

هنالك من ينظم شعراً ما كان يود ان يقول نثراً ، فلماذا لم يكتبه نثراً ؟ ولكن هذا النثر سيكون نثراً قبيحاً ، لان النثر الجيد لا يحول شعراً . النثر الجيد هو فن آخر يمتنع على الشعر ، له مساربه الخفية التي تتراءى في نثر فولتير ومونتسكيو وستاندال . انني اجهل مأتى هـذه الروح ، ولكني اعرف ان ليس مأتاها من الايقاع ، لانهـا تحطم الايقاع ، واقول على الافتراض : ان الشعر هو فن التعبير عن اقدم الاشياء ، والنثر هو إباء صارم للشعر ، وكما ان الدين يذهب من التمثال الى اللاهوت . . . كذلك الفكر يمضي من الشعر الى النثر .

ان منطقنا يقتل النثر ، لان حجتنا لا تفيد الطبيعة شيئاً ، فهي ترانا ولا تقول كلمة ! امـا في القصيدة الجميلة فالطبيعة فيها تتكلم ، وتنطلق ، وترقص وتغني ، تتكلم على حال مبهمة ، وتكرر كلامها فيقال : انه كلام طبيعي هو معجزة الغابات والينابيع .

الانسان يفكر في اغنيته الخاصة ، ولا يفكر في اغاني غيره "

خليل هنداوي

موليار

بقلم عمر فاخوري

•

كان في زمنه يلقب « إله الاضاحيك. » ولعله في الادب العالمي اعظم من اضحك الناس من الناس. لكن ما لا خلاف فيه هو ان موليار في الادب الفرنسي قد رفع هذا النوع: « الكوميديا » حتى احله في مستوى صنوه، ذلك التوأم الآخر: « التراجيديا » الذي شرفه ايضاً معاصراه كورناي وراسين، وبلغا به ذروة الكمال الكلاسيكي.

ان موليار لم يخضع فنه الا الى حد، وفي شيء من الصنعة والتكلف الظاهر، لقاعدة الوحدات المشهورة: وحدة الزمان والمكان والموضوع. ذلك ان فنه قائم على العبث او الفكاهة او المجون، والمجون يعوزه من الحرية ما قد يستغني عنه الجد احياناً. فان يكن في الجد كثير من التزمت والانقباض، فالمجون في جوهره تسامح وانطلاق.. لكن قاعدة واحدة لم يحد موليار عنها، او لم يكد، كانت عنده قاعدة القواعد، هي ان يرضي جمهوره، وان يكسب عطفه واقباله. وقد آثر موليار من بين طرق الارضاء، طريقه هو: اضحاك ذلك الجمهور.

ليس في النادر القليل ان نجد الضحك مقروناً الى البكاء، بل على الضد. لنذكر الآية الكريمة: « وانه هو اضحك وابكى. » وبيت المتنبي: « ولكنه ضحك كالبكا.. » فالضحك والبكاء هما وجها الحياة، او على الاصح، القناعان اللذان يترأى بهما وجهها. وقد تختلط، في الازمات الحادة، على ملامح ذلك الوجه الواحد، اختلاطاً منكراً، سيما الضحك والبكاء. هكذا لم يكن من الهين والميسور ان يستخلص الكاتب من الحياة، نواحيها المضحكة، ثم يبقى للحقيقة لديه حرمة: حقيقة الحياة والناس الذين يحيونها. بخاصة اذا كان الكاتب المعني هو موليار الذي لا ينبغي لاحد، وفيه مسكة من عقل، ان يحشره في زمرة المتفائلين او الفرحين او الضحاكين...

موليار في احد ادواره التمثيلية

لقد اختار موليار من المهن أسوأها في عصره سمعة، وانزرها عائدة: مهنة الممثل. كان في وقت معاً مدير فرقته ومؤلفها وممثلها الاول. حرمته الكنيسة كما كانت تحرم الممثلين جميعاً، لكن لم يكن هذا شر ما مني به من ضروب الحرمان. ففي خلال اثنتي عشرة سنة قضاها موليار، بعد ان لفظته باريس، متجولاً بفرقته في الاقاليم، بين مدن فرنسا وقراها، كانت طريقه ملأى بالمصاعب والعثرات. عرف الاملاق حتى الجوع، والاضطهاد حتى الحبس من اجل ديون لم يجد قضاءها. ولم يكن، فوق هذا كله، سعيداً او موفقاً في حياته الزوجية.

ثم استقر بموليار، بعد ذلك التشرد، في باريس المقام. فخيل

اليه ان الثروة والمجد والدعة اصبحت اخيراً في متناول يده . لكن لم يكد موليار يعرض مسرحيته المعروفة « مدرسة النساء » حتى قامت عليه قيامة الادباء والمتأدبين ، ورجال البلاط والمسرحيين . فلم يسلم من نهش السنتهم واقلامهم ، لا موليار المؤلف ، ولا موليار الممثل ، ولا موليار الرجل : لقد طعنوا في فنه وعرضه على السواء . اتهموه بالسرقة في ادبه ، وبالكفر في دينه ، وبالفحش في سيرته ، الى آخر التهم الشنعاء . واذا كان موليار قد صمد لاعدائه وحساده ، وخرج من المعمعة سالماً على الاقل ، فهو لم يتذوق طعم الراحة طويلاً . ان مسرحيته التي تلت ، والمعروفة بتارتوف او الكذاب، البت عليه جماعة الاتقياء والمتورعين ، من كل نحلة ودين ، واثارت حفيظتهم ، فاستصدروا امراً بمنع تمثيلها ، بل بتحريم قراءتها ايضاً .

اما كيف استطاع موليار، وهذه لمحة من حياته الضنكة ، وهذا طرف من مشاغله الدائمة الملحة ، ان يكتب نحواً من ثلاثين مسرحية ، شعراً ونثراً ، بعضها في خمسة فصول ، ويعد اكثرها في نفائس الادب المسرحي ، فهنا سر عبقريته التي يقف المرء امامها مشدوهاً ، ولا يكاد يجد لها تأويلاً . لقد اقتبس موليار كثيراً من اوضاع الكتاب المتقدمين والمتأخرين ، وكان هذا الضرب من السرقة الادبية شائعاً في عصره .

ولقد اخذ النقاد على موليار مآخذ عدة في اساليبه الكتابية ، حتى زعم بعضهم ان لا كاتب « اردأ منه انشاء . »

لكن لا ننس ان موليار الذي سخر من المتظرفات والمتظرفين ، ولم يوقر حتى المجمع والمجمعيين ، قد عايش عامة الشعب الفرنسي ، بعيداً عن باريس واوساطها المثقفة ، خلال اثني عشر عاماً ، فتغذى بعباراتهم وتراكيبهم المرنة الطلقة الدمثة . ولم يجد بداً من ان ينقل الى المسرح ، كما سمعها ، تلك العبارات والتراكيب ، على لسان ابطال قصصه التمثيلية الذين لم يكونوا جميعاً متظرفات او متظرفين ولا نحويات او صرفيين . .

اما سرقات موليار الادبية ، فقد أفاد ضحاياه منها بقاء الذكر وكان من حسن طالعهم انهم خطروا له ببال . فلولا مسرحيات موليار الباقية لما بقيت اسماؤهم ، ولا ذكرت آثارهم .

***

لم يكن موليار متفائلاً لو جذلاً او ضحاكاً ، لا في سيرته ولا في سريرته .

وليست المواضيع التي قامت عليها مسرحياته، مما يحمل ، في باطن الامر، على الرضى والتفاؤل

فالمفاسد والاهواء ، والمساوىء والشهوات التي يصورها موليار ، بعيدة عن ان تحسن ظننا بالحياة والناس .

كيف ، وهي تعذب الافراد ، وتهدم الاسر ؟

ان اشباه هذه المواضيع ، لو تناولها مؤلف آخر ، كبلزاك مثلاً ، لامست تحت قلمه او مشرطه ، فلذات من الحياة دامية ، محزنة ، مؤيسة .

ولكن موليار آثر ان يضحك الناس ، فاظهرنا من الحياة على نواحيها المضحكة .

بل ماذا اقول ؟ فالحقيقة هي ان موليار اختار ان يضع على وجه الحياة قناعه الضاحك،ليس غير . جزى الله موليار عن البشرية كل خير !

عمر فاخوري

مشهد من رواية المريض بالوهم

الطريقة الشامية

بقلم عبد الله العلايلي

لم تكد العربية تنطلق بين آفاق وآفاق، وتنتظم امماً من وراء امم، حتى تفاعلت بخصائصها مع كل هذه الخصائص الجديدة، وكان من نتيجة هذا التفاعل انبثاق آداب اقليمية لها مميزاتها ولها ألوانها، وعادت العربية وهي كل لغوي فقط قلما تعبر عن اشتراك ادبي تام .

وتلك المميزات لنواحي الادب الاقليمي لم تكن بدرجة واحدة من القوة او الضعف، بل متفاوتة تفاوت الحيوية الشائعة في الاقليم نفسه . ولعل احفل هذه الآداب بالآثار والمميزات وأغناها بالالوان والتنوعات، كان الادب الشامي – على حد تسمية القدماء – الذي حظي بالقبول وصادف رواجاً غير قليل، دعا الى شدة العناية والاهتمام به، في شيء من التعلق الى شيء كثير من الرغبة باقتفاء أثره واحتذاء خطته .

ولقد عني القدماء من مؤرخي الآداب العربية بمظاهر هذا الادب واهتموا بتسجيل مميزاته وما انفرد به من طوابع شديدة البروز، وبلغ من عنايتهم به انهم خصوه بالتآليف والفصول الطوال من مثل ابي منصور الثعالبي في يتيمة الدهر وابي الفرج الاصبهاني في غير موضع من الاغاني . فقد تكلم كل منهما عن خصائص الطريقة الشامية – حسب تعبيرهما – التي شكلت مجرى ادبياً واسعاً، والتي كانت كمدرسة حفلت باكبر شعراء العربية في العصر العباسي الثاني وما بعده . ونحن لكي نكون فكرة صادقة عن هذا الادب وهذه الطريقة وقيمة هذه المدرسة الادبية، يلزمنا ان نتقدم بلمحة سريعة عن طبيعة الاسلوب . وفي تقديري ان كل الدراسات النقدية والبلاغية وما يتصل بها ويتفرع عنها، تظل مشوشة وغير محققة اذا لم تبدأ اولاً فتحقق طبيعة الاسلوب ومنابعه في النفس البشرية . واظنني غير متجاوز وغير متطرف مفرط اذا انا قلت ان جهد الدارسين من الادباء والنقاد حتى اليوم لم يتعد حدود الدائرة اللغوية، وعلى اساس هذه الخلاصات راموا فهم الاسلوب واقاموا صرح البلاغة، بينما اللغة والاسلوب يرجعان الى طبيعتين مختلفتين تماماً في درجة تجعلنا لا نثق باية الطرائق النقدية التي عكف الناس على انتهاجها . وكان السائق لهم الى هذا التوهم الخاطيء عملية تحليل الاسلوب، القائمة على انه اي الاسلوب ينحل الى كلمات تقوم منه مقام الجزء من الكل العضوي او مقام الخلية من العضو، اذن ففي الاسلوب طبيعة لغوية بالضرورة .

وهذه الملاحظة التي هبطت اليهم من التأمل العفوي الساذج، جرت الى طائفة الاوهام التي ننوه بها واقامت الى ذاك الدراسات الادبية على القاعدة اللغوية، فكان ما كان من اضطراب الطرق النقدية وتناقضها . بينما اللغة والاسلوب بفضل تأمل بصير نلمس تباينهما الى حد كبير، فان منابعهما في النفس البشرية متباينة كذلك، ولكي نفهم كلتا الطبيعتين يلزمنا ان نتحسس منابعهما قبل كل شيء .

نعتقد ان منبع اللغة، الضرورة وأهم عواملها الباعثة الفكر، فوجودها وجود الرمز وفيها طبيعة العدد . وبشكل اخر : التهيج اذا طال اجله ينقلب الى احتياج، وهو في هذه الدرجة من الاستحالة منبع اللغة ولذا غنى الانسان قبل ان لغا . اذن فمن البديهي ان يكون في اللغة تبلور وثبات . بينما منبع الاسلوب، العفوية وأهم عوامله الباعثة الانفعال، فوجوده وجود الحقيقة الشعورية وفيه طبيعة الحياة .

ومن الضروري للموضوع ان نتكلم عن الاوصاف العامة للحياة الانفعالية : ان اول ما يلفت النظر فيها، هو وفرة مظاهرها وتنوع هذه المظاهر تنوعاً لا يحصر بحد، ثم مرونتها وانتقالها من حال الى حال انتقالاً مستمراً، فهي – على حد تعبير برغسون – انتقال مستمر وتحول دائم . وهذه الحساسية هي التي تجعلنا نرتبط بالحياة التي نعيشها ونميل اليها، كما تحرك فينا حب الغير ورغبة الترتيب والنظام وقوة الميل الى حياة اكمل . ومن المهم للموضوع ان نلاحظ ان فينا من الانفعالات والوجدانات ما له صفة الاستمرار والدوام، كما ان منها ما يسهل تمييزه عما سواه .

واذا انتقلنا بعد هذا الى تحديد النسبة بينهما ومضينا في المقارنة، نستطيع القول بان التهيج في حالة كونه تهيجاً يشير الى اسلوب، اما اذا استحال الى احتياج فانه يشير الى لغة، فالانسان حينما غنى كان

أسلوبياً اي عبر باسلوب يتفق والانبغام في اداة التعبير .

وعلى هذا يمكننا الآن سرد ما بين اللغة وبين الاسلوب من خصائص ترجع الى طبيعتين مختلفتين :

(١) في اللغة ارادة تعبير ولذا صح ان تكون العلاقة فيها تحكمية ، وفي الاسلوب ارادة تصوير ولذا وجب ان تكون العلاقة طبيعية حقيقية . — (٢) اللغة كائن اجتماعي ، بينما الاسلوب كائن شخصي صرف ، فان من الملاحظ ان الانسان يتكلم بينه وبين نفسه احياناً في فترة الشعور الشديد بشيء ، وبتعبير آخر في أزمة الشعور ، ولذا نرى ان الدراسة الادبية المقارنة جهد فاشل . — (٤) اللغة تعبر عن كائن فكري ثابت ، بينما الاسلوب يعبر عن كائن انفعالي متحول . — (٤) اللغة تعبر عن وحدة عددية ، بينما الاسلوب يعبر عن وحدة حيوية . — (٥) اللغة حقيقة من المكان اي مستحجر حياة ، بينما الاسلوب حقيقة من الزمان اي صيرورة وتجدد مستمرين . — (٦) اللغة لا تعبر عن شعور بل عن مقياس متري للشعور اذا صح هذا التعبير ، اما الاسلوب وحده فهو الشعور الذي شاء الانسان ان يعبر به جملة ، وبعبارة اخرى الاسلوب جملة شعورية . — (٧) العلاقة في اللغة دلالية اشارية ، بينما هي في الاسلوب فنية . وهي في اللغة مجازية ، بينما هي في الاسلوب حقيقية .

واجمالاً فاللغة مثل التصوير الشمسي (الفتوغراف) ، بينما الاسلوب مثل الرسوم الفنية الموحية . ففي الاول طبيعة الرمز والعدد بينما في الثاني الطبيعة الحية ، ولذا كان هذا فناً جميلاً دون الاول .

وعلى ضوء هذه الملاحظات نستطيع القول : بان الاسلوب اياً كان فن جميل ، الا اذا اصبح اصطلاحاً محضاً فانه يرجع الى دائرة اللغة وان كان تركيباً . فان الامثال التي تحمل معاني ثابتة لا تنحرف عن مواضعها ومواقعها ، تخرج عن كونها اسلوباً وان كانت كذلك في فترة الشعور الذي ارسلها ، الى كونها لغة لا تشعرنا الا بصدى الذكرى اي المعنى . ومن ثم ندرك كيف تنهار النظرية الشائعة من ان الفن الجميل ، هو الاسلوب الشعري دون النثري .

وان الشيء الوحيد الذي غرر بنقاد الادب انهم اخذوا الاسلوب مأخذ التركيب ، وعلى اساسه بنوا نظرية الادب والنقد الشائعة باخطائها . ولعل السر في اننا نزور من اسلوب الالفاظ والزخرفة الاستعارية الطنانة ، انه لغة وتركيب لغوي فقط لا يتضمن أدباً ولا يشير الى ادب . ومن ثم يتفرع عليه ان البلاغة ليست الفاظاً ، وان قواعد البلاغة المدونة قواعد لغوية فقط ، فتطبيقها على الاسلوب جناية ادبية تبعدنا عن فهمه .

ولعل الرمزية انما وجدت سبيل لذتها ، لانها هيمات ودغدغات منبهمة انبهام الخلجات نفسها ، فهي بغام الحساسية كبغام الظباء في سذاجته وشروده وانفلاتته المتوجة .

ومن وراء هذا كله نتوصل توصلاً سريعاً الى فهم ما في الطرائق النقدية من سذاجات والتواآت ، فانها جميعها بين الموضوعية واللغوية ، وكلما تقربنا بالادب من الموضوعية او اللغوية فقد بعدنا من فهمه وأسأنا تقديره .

اما الطريقة التي لا يسعني الاطمئنان الى سواها ، فهي المستوحاة من نسب ما بين اللغة وبين الاسلوب والمبنية على اساس الخصائص لكل من الطبيعتين ، هذه الطريقة التي يمكننا تسميتها بالطريقة الحيوية في الادب والنقد .

قلنا ان في اللغة ارادة تعبير ، وهذا يلزمه ان يكون في القطعة دقة أداء ، ووفاء اللفظ بالمعنى ومناسبته في حدوده من السعة او الضيق ، وفي مقداره من الوضوح والغموض ، وعلى سنته من الانفراج او الضمور ، اي ان يكون اللفظ بازاء المعنى على استواء .

وقلنا ان في الاسلوب ارادة تصوير ، وهذا يتبعه ان تكون القطعة صادقة في حدود الشعور وحقيقية في مقدار الانفعال .

وهكذا نستحصل كامل عناصر هذه الطريقة النقدية الادبية ، باستنطاق طبيعتي الاسلوب واللغة وخصائصها .

ونحن قد تقدمنا بملاحظة ان فينا من الانفعالات والوجدانات ما له صفة الاستمرار والدوام ، كما ان منها ما يسهل تمييزه عما سواه . وفي هذه الانفعالات الثابتة نستطيع ان نلتمس مميزات الادب الخاص بالاقليم ، ونفرغ الى تمييزه في طوابعه الاكثر تراوحاً عليه وظاهراته الاكثر بروزاً فيه . ولا شك ان درس الادب موزعاً على الاقاليم ، في واقعه درس لمقدار ما فيه من وجدانات وانفعالات لها صفة الاستمرار والدوام ، ومن هنا نضع اليد على قيمة هذه الطريقة وقربها من الواقع النفسي ومن الاستعداد في النشاط الداخلي الكامن الذي هو الحقيقة الادبية .

ان الطريقة الشامية التي اشتهرت بين القدماء من نقاد الادب العربي كثيراً وعنوا بها كثيراً وترامت الينا بقوتها ، لم نزل نقرؤها في مشاركة ماتعة ونهتم برجالها في شغف لاذ .

فمن منا لم يقرأ أبا تمام والبحتري وديك الجن والمتنبي ايضاً ، ومن منا لم يشعر بجلاوتهم وتمتعه طريقتهم ويتذوقها في حظ كبير ثم أينا لم تبلغ منه مبلغاً يحرك عليه اعمق الاحاسيس مشبوبة او موهومة ، وأقصى العواطف صاحية في اعمق حلم وحالمة في أبلغ صحو .

وخليق بنا — وهذه الطريقة الادبية تعبر عن ناحية الانفعال لدينا، وترسم الوان كائنتنا الادبي في وضوح ، وتضع تحت نظرنا خطوط شخصيتنا وتكيفاتها في مرحلة عريضة من مراحل التطور — ان نعنى بها في كثير من الدقة الى كثير من التحري كي نتأتى من وراء هذا الدرس الى تحديد المجرى الادبي الخاص باقليمنا في القديم ثم في الحديث، ونتبلغ به الى تسجيل طائفة التكيفات التي عرضت وتعرض للشخصية في مدى تاريخ طويل .

وانا استحسن هذه الطريقة من البحث لانه يتسنى معها ابراز الارتسامات المختلفة والمتنوعة ، للاقليم ككائن حي يخضع لنفس الظروف ونفس التطورات ونفس الاستجابات على المحرضات الطبيعية والصناعية والتاريخية، وهي بعد ذلك تضع البحث الادبي في مجاميع حية من شأنها انها تفيض وتشير الى أنواع من الاثر الحي .

وانا ان ذهبت اقول بالالوان الاقليمية فلست اقول بالخصائص الاقليمية، وبينهما فرق فان الثانية تتضمن صفة الثبات بينما الاولى تتضمن صفة التكيف وقابلية التحول، وعلى الخصائص وحدها يقوم المثال القومي ومظهره اللغة التي هي وحدة حيوية كما قلنا وكل يعبر عن طبيعة مشتركة ، وعلى الالوان يقوم التنوع الادبي ومظهره الاسلوب الذي هو كائن شخصي صرف وموجود ذاتي بحت

ومن الخير ان نضع هذا الفرق في درجة الوضوح ، فاننا اذا تصورنا الكائن الاجتماعي القومي كالكائن العضوي الحي ، نستطيع ان نتصور ونتزل التكيفات الاقليمية منزلة التكيفات لخاصة الحس مثلا التي هي نظر وذوق الى تشكلات شتى في حدود واحدة . وهي على تنوعاتها تتعاون لتعبر وتفي بحاجات تلك الخاصة المشتركة . ودون تجاوز وخروج عن الموضوع نعود فنتحدث عن جوانب معرفة القدماء من النقاد لميزات الطريقة الشامية ، ونكتفي من ملاحظاتهم بما مضى ابو منصور الثعالبي يحدثنا بـه ، ولعل ملاحظته أوفى كل هاتيك الملاحظات قال في كتابه يتيمة الدهر : (لم يزل شعراء عرب الشام وما يقاربها اشعر ، والكلام يطول في ذكر المتقدمين منهم ، فاما المحدثون فخذ اليك منهم العتابي ومنصوراً النمري والاشجع السلمي وابن زرعة الدمشقي وربيعة الرقي ، على ان في الطائيين اي ابي تمام والبحتري اللذين انتهت اليهما الرئاسة في هذه الصناعة كفاية وهما هما » .

ثم يذهب الثعالبي فيذكر من خرجته بلاد الشام على طريقتها الادبية من مثل القاضي ابي الحسن الجرجاني في النثر والنقد (فانه جنى ثمارها واستصحب انوارها حتى ارتقى الى المحل العلي وتطبع بطبع البحتري) ، ومن مثل المتنبي في الشعر (فانه وان كان كوفي المولد شامي المنشأ وبها تخرج ومنها خرج) . وفي غير تطويل بذكر الشواهد والنصوص، نخرج من مجموع ملاحظات القدماء عن الطريقة الشامية بامتيازها في ناحيتين :

(١) انها في جانب اللفظ تمتاز بالصقل والتهذيب وفنية التعبير الظاهرة في التعلق بالبديع ، فاعلامها اكثر من استخدمه وأنق من تصرف به . والبديع وان كنا نعرض اليوم عنه شعوراً بتكلفه فما لا ريب فيه انه الغاية الفنية في التركيب ، ولكن النقاد كما قلنا حينما اخذوا الاسلوب مأخذ التركيب، طبقوا البديع على الاسلوب في افراط كبير . فكان من نتيجته انهم شجعوا الادباء على التزامه، فسخوا جمال الانفعال وبدوات الشعور وجاءت اللحظات الوجدانية ولمعات الالهام فاقدة لسلامتها وقوتها ، بل انها متحجرة او محنطة كالمومياء . فعزونا اثر هذا للبديع بخطأ والانحرفنا عنه في شذوذ ، والا فمن منا يشعر بتكلف هذا التجنيس عند ابي تمام :

راح اذا ما الراح كن مطيها   كانت مطايا الشوق في الاحشاء

فان الراح الثانية التي هي بمعنى الاكف والمطايا المجازية كفيلتان وحدهما برسم الصورة الحية في صدق وحقيقة، لخطرة الانفعال وخلجة الشعور اللتين تلبستا الشاعر واستبدتا به في لحظة شاردة . ويحسن ان ننبه هنا على ان ما يسمونه بالالفاظ الادبية، ان كان المعنى فيها وجود ألفاظ من شأنها ان تحمل معنى ادبياً فهو تركيب فاسد، فان كل لفظ يصبح ادبياً بموقعه اللازم للتعبير عن الانفعال العابر، وذلك الموقع هو الذي يكسب اللفظ ما نشعر به من التموج والحيوية . أما هو من حيث كونه لفظاً فليس يحمل الا شعوراً مستحجراً يراد به قياس شعور متجدد في لحظة حياته اي في لحظة كونه خلجة نابضة بالحياة ومن ثم يعبر الادب عن حفيف الروح وهينمات الوجدان وتهاويل الشخصية .

وانا لست انكر ان القليل من الادباء الذي صاغ انفعاله في فترة الانفعال، وقليل هي القطع التي كانت وليدة ذلك . ولكني اقطع مع ذلك بان اكثر الادب وان كان قد صيغ بعد الانفعال، فالاديب دائماً يستعيد ذكرى ذلك الانفعال وبعنفه احياناً، وبهذا فارق الاديب المؤرخ، اما هو لو تحدث عنه دون استعادته فانه مؤرخ فقط . وليس أدل على هذا من رسالة المنقذ من الضلال للغزالي، فانها وان كانت حكاية حياة حائرة في أزماتها وحكاية نفس في وثبات الهامها ومحاولات تطلعها ورشدها، فقد جاءت تاريخ روح وليست ادب روح مطلقاً ونحن انما لاحظنا في الاسلوب انه كل حيوي لانه ليس اكثر من كونه حكاية التجاوب المتجدد بين الحياة البشرية وكل

الطبائع الحية ، وحكاية الحنين الدائم الى الروح الكلية التي نشعر بها مواجة في ضمير الكون والتي نتحسسها تحسساً بدأ أعمى اصم أبكم ولكنه يتكشف ويتزحزح شيئاً بتأملات الاديب المتلمعة وخطرات الشاعر النافذة في المجهول. فعبارة ذلك التجاوب وذلك الحنين وتصوير تلك المناسبات التي تحرك القناة المبهمة التي تصلنا بخضم الكون وما وراء ، فنحس بالهدير ينصب في ضمائرنا بعنفه ومده، هو الاسلوب في اي لفظ جاء وفي اية كلمة انسكب .

وعلى ذلك فالبديع زخرفة الالهام فكانت له ملاحته، لكنه في قواعد البلاغة اللغوية انقلب زخرفة فقط دون ما الهام فكان عليه تكلفه ونبوه . وهنا اسوق مثلاً من الادب الشامي اساء الادباء اللغويون فهمه، وهو بيت لابي تمام تناوله بالنقد الجرجاني وهول بتشنيعه بعض النقاد العصريين وهو :

ألذ من الماء الزلال على الظما   وأطرف من مر الشمال ببغداد

فالجرجاني فهم من الطرفة البدعة فاخذ على الشاعر جعله الشمال طرفة ببغداد وهي اكثر الرياح بها هبوباً ، وهذا خطأ جره تطبيق اللغة تطبيقاً جامداً، فان الطرافة في اسلوب ابي تمام استحالت الى معنى المنعش ، والريح المنعشة في ازمة احساس الحرور الملتهب طريفة كل الطرافة اي تقع عند وقوع النادر، اذ هو في ازمة ذلك الاحساس وكل احساس وليد لحظة لا قبل لها ولا بعد، فللحي حيوات تتجدد تجدد الاحاسيس . هذا مثال قصدنا به الى بيان ما نزيد تقريره واثباته ، من ان عنصر الادب في الالفاظ انما هو بوقعها من جملة الانفعال ، وان معاني الالفاظ من عبارة الانفعال تستحيل من معان لغوية جامدة الى معان انفعالية متحولة .

(ب) أنها في جانب المعنى تشتمل على افتنان في الخيال وبراعة في التصوير وصدق في العاطفة وعمق في التشبيه والتمثيل وبكثرة ألفاظ الاستفهام واستيفاء المعاني المضمومة في القصيدة الواحدة في اجمال وبعد عن التفاصيل .

ونكتفي الآن بايراد شاهدين لشاعرين من اعلام المدرسة الشامية وهما ابو تمام والبحتري، فللاول قوله :

ولقد أراك فهل أراك بغبطة   والعيش غض والزمان غلام
أعوام وصل كان ينسي طولها   ذكر النوى فكأنها ايام
ثم انبرت ايام هجر أردفت   نحوي أسى فكأنها اعوام
ثم انقضت تلك السنون واهلها   فكأنها وكأنهم أحلام .

هذه القطعة التي تعبر أحسن تعبير وأصدقه عن شعور واحد استعلى بصاحبه فوق الزمان والمكان والمقاييس المحددة تحديد الواقع، وأوهم الشاعر بان الحقيقة في حدوده وليست دونه وان نسبية الواقع انعكاس مختلط مشوش عن اطلاق الشعور الذى لا يعرف النسبية .

واما دقة الاداء اللغوي فلعلها منقطعة النظير فيها ، واذا شئت فتذوق ملياً كلمتي (غض) و (غلام) وانت بدون شك لن تتصل بها من طريق اللغة سيما كلمة غلام . والا فانك لن تدرك لها طعماً الا بارداً ، ولا بد ان تجد نفسك وقد استسلمت الى تذوقها من طريق الموقع البياني، ولا بد انك واجد فيها لوازم المعنى اللغوي فقط من الحيوية والتدفق والتفاؤل والبشرى الطافحة .

وللثاني قوله :

ذاك وادي الاراك فاحبس قليلا   مقصرا في ملامة او مطيلا
قف مشوقاً او مسعدا او حزينا   او معيناً او عاذرا او عذولا
ان بين الكثيب فالجزع   فالآرام ربعاً لآل هند محيلا
أبلت الريح والروائح   والأيام منه معالماً وطلولا
وخلاف الجميل قولك للذاكر   عهد الاحباب صبرا جميلا
لا تلمه على مواصلة الدمع   ولوم لوم الخليل الخليلا
عل ماء الدموع يخمد نارا   من جوى الحب او يبل غليلا
وبكاء الديار مما يرد الشوق   ذكرا والحب نضوا ضئيلا
لم يكن يومنا طويلا بنعمان   ولكن كان البكاء طويلا

اما تحس — ايها القارىء — بانتفاضة المذعور ممن جنى واساء حيال مقدس فهو سادر عنه غافل، ثم بالصرخة المنفلتة دون وعي او شعور، أليس هو وادي الاراك ؟ ثم أليس هو مهبط صبابات وأفانين حب الشاعر التي استحالت عاطفة مغفية، سرعان ما استفاقت مشبوبة عنيفة، وقد رأى دون سابق تقدير وعابر أمل هيكل النجوى وكهف الهيام، وها هو منتفض مذعور من استمرار مسير الركب الذي لا يشاركه احساسه فيمده بوقفة ذكرى مفعمة بالحنين، وها هو يفتلتها صرخةً واجفة جفلى يستوقف بها الركب ولو قليلا، ثم لا يبالي أأقصر الركب في ملامته أم طال، وايضاً لا يبالي أوقف كما وقف هو مشوقاً او وقف مسعداً له على مأربه او وقف مشاركاً له احزانه أو وقف عاذراً دون عاطفة او وقف عذولاً بعاطفة مستكرهة مستعتبة، أليس هو قد اوقف الركب وخشع امام المعالم الموحية والى جنب الطلول الملوحة باطراقة بحت في تناوح الاعاصير . انه لا يبالي اوقف يشاركه عواطفه على لون من الوان المشاركة او لا يشاركه او يتهكمه ، فخلاف الجميل ان يحمل على السلوان ويتزايده هذا الشعور فيهتف في ألم غاضب (ولوم لوم الخليلا) ، والشاعر بعد ذلك يبكي وبكاءً عنيفاً ، وهو وان لم يكن طويلاً في حساب الزمن فقد كان طويلاً ولاشد ما يكون طولاً في حساب العاطفة المتلظية الحرى .

عبد الله العلايلي

لقاء ...

•

وكان اللقاء ... اطلّ خيالٌ بعينيك يسألُ عن موعدِ

وجنّ العقيق ، وحار السوأل على شفتيّ برعمٍ امردِ

تململَ وجدٌ على رغبةٍ فكدت اهدهده بيدي

على مهلكِ اليومَ ، وجه المساء انهمارُ الضراعات في معبدِ

وموعدنا واحةٌ في غدٍ ومرمى ظلالٍ وريّ صدي

وكان اللقاء ... وودّت عذارى لو ان لها فجوةً من غدِ

يحدّقنَ في وجهك المستحي وينظرنَ لي نظرة المعتدي

توكبننا غصةً في الشكوك تموت على خاطرٍ اغيد

درى الورد أنا عببنا العبير — غداة الدجى — واستبحنا الندي

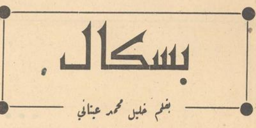
فقرّبَ للحبّ اشواكه على ضفةٍ عذبةِ الموردِ

ومالَ البنفسج يشكو انفرادَ الاماني في جيرة الجلمدِ

براه الندى قطرةً قطرةً وطيبُ البنفسج لم ينفدِ

سألتك ... لا تسأليني اللقاء تروح مراميه او تغتدي

صلاح الاسير



استاذ في كلية المقاصد الاسلامية في بيروت

بسكال علم من اعلام الفكر الفرنسي سطع نجمه في القرن السابع عشر فاضاء جوانب لا يستهان بها من الفكر البشري . وخطا بالمعرفة خطوات حثيثة الى الامام فكان له فضل يذكر في ازاحة الستار عن نواح خطيرة في الحقيقة الازلية . وقد احس احساساً عميقاً بحاجة ملحة الى معرفة هذه الحقيقة وكشف كنهها . فانهك قواه الجسدية والعقلية باحثاً منقباً مفكراً متأملاً غير عابيء بلذات زائلة يحرم منها نفسه ومشقات تفوق طاقة البشر يتحملها بجلد وصبر وطيبة خاطر في سبيل غايته القصوى السامية الا وهي ادراك الحقيقة النهائية للانسان والحياة . وعبقرية باسكال متعددة الوجوه والالوان . فهو يعد بين كبار الفلاسفة الفرنسيين خصوصاً وهو كذلك عالم جليل القدر ترك آثاراً علمية محترمة وادى للعلم خدمات لا تقل في اهميتها واثرها عن خدمات اي عالم من كبار علماء العالم .

وهو فوق ذلك اديب له اسلوب خاص يمتاز به وله صفات ادبية اوجدت له كثيراً من المعجبين والمقلدين .

فنحن اذا ما اردنا ان نعطي فكرة صحيحة عن باسكال وجب علينا ان نعرض له كفيلسوف وعالم واديب .

ولكي تكون هذه الفكرة حية واضحة يتحتم علينا ان نشير اشارة سريعة الى الخطوط البارزة في حياة باسكال لان حياته — بخلاف ما هو معروف عن ادباء القرن السابع عشر الفرنسي عموماً — اثرت تأثيراً فعالا في فكره وتآليفه

حياته : ولد بليز باسكال في كليرمون فران سنة ١٦٢٣ من عائلة امتاز افرادها بشغفهم الشديد للقضاء وكان والده حاد الذكاء نبيل الطبع شديد الميل للعلوم الرياضية . وعندما قضت والدة بليز قرر والده ان ينصرف بكليته الى تربية ولده : وعندما بلغ ابنه الثامنة من عمره استقال من وظيفته ورافقه الى باريس . وبالرغم من الرغبة الشديدة التي لمسها عند ابنه في درس الرياضيات فانه فضل ان يبدأ بتعليمه اللغات القديمة . وتروي لنا مدام بيريه في مؤلفها عن حياة بليز باسكال :

«ان والده حرص على ان لا يحدثه في تلك الاثناء اي حديث له علاقة بالرياضيات وانه منع عنه كل المؤلفات التي كانت تبحث فيها واعداً اياه بتدريسه اياها بعد اتقانه اللغتين اليونانية واللاتينية» .

ففي هذه الفترة من حياته على ما تروي مدام بيريه وبالرغم من جهله للتعاريف الاولية البسيطة في الهندسة (كان يدعو الدائرة مستديراً والخط قضيباً) استطاع باسكال بفضل ذكائه ونشاط فكره ان يتوصل الى معرفة ٣٢ مسألة من الكتاب الاول لاقليدس . غير اننا لا نطمئن الى هذه الرواية لما فيها من المبالغة وانما نميل الى الاخذ برواية تالليمان دي ريو التي ترى فيها الفتى باسكال يعترف لوالده بانه قرأ خفية الكتب الستة الاولى لاقليدس .

وعلى كل حال فقد كان بليز على حظ وافر من العقلية العلمية الرياضية . ومما ساعد على نمو هذه العقلية ونضوجها بسرعة الحلقات العلمية التي كانت تعقد في دار والده في باريس والتي كانت تجمع ابرز الشخصيات العلمية في ذلك الوقت فتجري فيها المناقشات الطويلة والابحاث المستفيضة حول الموضوعات العلمية والرياضية المختلفة . فكانت بذلك افضل مدرسة لبليز واكبر مشجع له على متابعة ابحاثه .

ولما بلغ السادسة عشرة وضع رسالة في الهندسة اثارت اعجاب ديكارت وحسده . ثم اخترع الآلة الحسابية . وهكذا تمكن من ادراك عبقريته الفذة والشعور بما كان يتمتع به من ذهنية رياضية رائعة . الا ان حادثاً فجائياً لم يكن يحسب له حساباً وجه حياته توجيهاً جديداً .

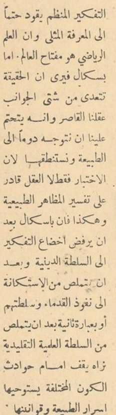
وذلك ان والده في سنة ١٦٤٦ كسرت رجله فاتى لمعالجته جراحان كانا يتعاطيان الجراحة مجاناً فمكثا في داره لاسعافه مدة ثلاثة اشهر . وكان هذان الرجلان معتنقين لمذهب جانسينيوس فاستطاعا ان يضما لمعسكرهما بليز باسكال وشقيقتيه وباسكال الاب . ومنذ ذلك الوقت اندفع بليز باسكال بحماس عظيم في المذهب الجديد الا انه لم ينقطع عن العالم . بل ظل يواصل ابحاثه العلمية التي كانت تتابعها اوروبة المتعلمة . ففي هذه الاثناء مثلا برهن عن ثقل الهواء وعرض نظرية التقدم واكتشف بالاشتراك مع العالم الرياضي الفرنسي الكبير (فرما) الحساب التقريبي والف رسالة في الفراغ . الا ان هذه الاعمال العلمية الشاقة اثرت في جسمه فاضطر سنة ١٦٥٢ ان يوقف ابحاثه فانغمس في الحياة العامة واتصل

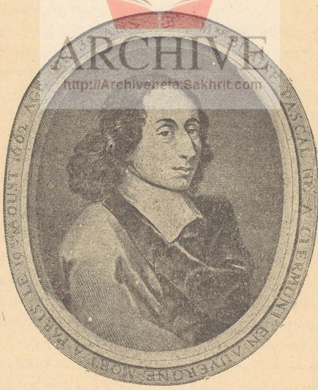
بالاوساط الباريسية المختلفة ولا سيما وسط الملحدين والمتهتكين . فاصغى الى الحجج التي يفندون بها اقوال علماء الدين وتعرف الى احوالهم وطرق معيشتهم ووقف على نفسيتهم وافكارهم وهنا ولد في ذهن باسكال الفرق الذي يراه بين العقلية العلمية او الهندسية كما يدعوها والعقلية العملية .

وعندما اصبح باسكال في الثلاثين من عمره حدث له انقلاب اهتزت له نفسه من اعماقها وتأثر به فكره الى حد بعيد .

وذلك ان باسكال بينما كان يجتاز في عربة جسر نوبيه القت بعض الخيل التي كانت تجر العربة بنفسها الى الماء وشاء ربك ان تنفصم العرى التي كانت تربط الخيل بالعربة فنجا باسكال ومن كان معه . الا ان العربة على ما يروي وقفت برهة من الزمن في الهواء فرأى باسكال ومن معه حتفهم المحتم باعينهم وكانت نجاتهم باعجوبة كبيرة . لكن يجب ان لا نظن ان هذه الحادثة كانت السبب الرئيسي الوحيد في ما حدث عند باسكال على اثرها من قلق واضطراب . يجب ان لا ننسى العمل الخفي المستمر للجانسينسم في نفس باسكال ذلك العمل الذي استطاع على بطئه ان يقلب نفسية فيلسوفنا رأساً على عقب وان يترك فيها اعمق الاثر وشعر باسكال ان العلم الانساني اعجز من يملأ المجال اللامتناهي لقلبه وسمع نداء الله عز وجل ، ينطلق من اعماق نفسه فقرر في ليلة الثالث والعشرين من تشرين الثاني سنة ١٦٥٤ حيث وجد وجهاً لوجه مع الباري تعالى ان يهب نفسه له طيلة ما تبقى من حياته وسجل على نفسه هذا العهد في صلاة مؤثرة كتبها على بطانة احد اثوابه وكان يتبرك دائماً بارتداء ذلك الثوب فيما بعد . وفي هذه المرة كشف باسكال الحقيقة السامية التي كان بمقدورها ان توحد اتجاهات فكره وتصرفاته . وفي سنة ١٦٥٦ حملته الهجمات التي كان يوجهها اليسوعيون ضد الجانسينيت على الرد عليهم فكتب البر وفنسيال بقوة وعنف ثبطا عزم خصومه وخلدا ذكر هذا المؤلف . ومنذ ذلك الحين اخذ يفكر بوضع مؤلف تقريظي عن الدين المسيحي وقد بذل في سبيل ذلك اقصى ما في وسعه بالرغم من الاوجاع والامراض التي كانت تهدد جسمه وتضعف قواه . الا انه كان قد امن لنفسه طريقة السعادة والهدوء بوقوفه على الحقيقة . فكان يعد نفسه بين المختارين . وكانت الامة في نظره دليلاً على هذا الاصطفاء الالهي . حتى انه كان يعمل جهده في سبيل تقوية هذه الآلام اعتقادا منه ان ذلك يساعد على استحقاق الرحمة . فكان يتفنن في تعريض جسمه اصنوف العذاب . وقد ظل على هذه الحال حتى مات سنة ١٦٦٢

ولباسكال يرجع الفضل في وضع الاسلوب الاختباري الذي ساعد على اصلاح طريقة ديكارت النظرية . فديكارت يعتقد ان التفكير المنظم يقود حتماً الى المعرفة المثلى وان العلم الرياضي هو مفتاح العالم . اما باسكال فيرى ان الحقيقة تتعدى من شتى الجوانب عقلنا القاصر وانه يتحتم علينا ان نتوجه دوماً الى الطبيعة ونستنطقها لان الاختبار فقط لا العقل قادر على تفسير المظاهر الطبيعية وهكذا فان باسكال بعد ان يرفض اخضاع التفكير الى السلطة الدينية وبعد ان يتملص من الاستكانة الى نفوذ القدماء وسلطتهم او بعبارة ثانية بعد ان يتملص من السلطة العلمية التقليدية نراه يقف امام حوادث الكون المختلفة يستوحيها اسرار الطبيعة وقوانينها "





بسكال – بريشة الجنرال ايدلينيك

وبهذا يعارض ارسطو وتلامذته ويخالف ديكارت الذي يريد ان يقيم « فزياءه » على مجرد التفكير .

الا انه يجد في البرهان الرياضي المثل العام والشكل المرضي لكل برهان. الا انه لا يلبث ان يعترف بحدود البرهان الرياضي وقصر العقل عن ادراك كل شيء. . واخيراً نجد باسكال يوفق في تأمله في العلوم الرياضية باستنتاج افكار واراء تفوق بقيمتها الرياضيات نفسها . وذلك لان التأمل في قابلية الانقسام المتناهية في الاشياء افضى به الى لغز المصير الانساني وحقيقة العالم .

الفيلسوف المؤمن — لقد كان باسكال ورعاً الى ابعد حدود الورع . وورعه يلخص في اعتناقه لمذهب جانسينيوس . فهو رغم تعلقه الشديد المستمر بالعلوم ، استطاع ان يقف نفسه على خدمة ذلك المذهب والذود عنه . كان يعتقد ان حركة جانسينيوس قد بالغت في تشديدها على ضعف الانسان وقصوره الا انها اصابت كل الاصابة في قوة الخالق اللامتناهية وعن ضرورة الرحمة ومفعولها في سلامتنا وخلاصنا . فيجب ان نهب انفسنا بكليتنا الى الله . لم يكن الآباء اليسوعيون ليستقبلوا هذه النظرية التي كانت تخيف كل من كان بوسعه ان يبلغ درجة الانبياء والقديسين في تقاه وصدوفه عن ملذات الدنيا ونعم الحياة . فهاجموا بشدة وعنف اتباع جانسينيوس فهب باسكال للدفاع عن اساتذته واخوانه في العقيدة والايمان وكتب البروفنسيال وهي مجموعة رسائل وضعها على لسان رجل من سكان الصعيد الفرنسي . وقد اخذ باسكال على الآباء اليسوعيين التساهل المتطرف في مذهبهم الاخلاقي الذي اوشك ان يكون في نظره مذهب رواد الصالونات وطلاب اللهو واللذة . هذا ما حاربه باسكال دونما لين او هوادة . ولا غرو فالمسيحية في نظره هي جهاد مستمر . واكمل مظهر للحياة المسيحية الحقة هي الزهد . واقل محاولة لاستئصال الاشكال والآلام التي يلاقيها المرء في طريقه الى الفضيلة تعرضه لمخالفة مقاصد السيد المسيح .

والمقاومة المستمرة للغريزة والمصلحة والاضطراب المتواصل الذي يعتري نفس الانسان تلك هي الشروط الاساسية للاخلاق الصحيحة .

الا ان باسكال بالرغم من تمسكه الشديد باهداب الدين وحرصه الكبير على كل قاعدة من قواعده طعنه على غير قصد منه ودون ان يشعر طعنة نجلاء . هزت اركانه وعرضته الى خطر عظيم . وذلك باثارته للمناقشات والابحاث اللاهوتية خارج الكنيسة وباشراك الجمهور بها وتحكيمه فيها مما حمل هذا الاخير الى الاعتقاد بان العقل كاف وحده للبت في المشاكل الدينية . وبهذا مهد باسكال السبيل امام فولتير والفلاسفة العقليين واللادينيين .

ولم يلبث باسكال ان صدف عن المجادلات القلمية وانصرف الى التمارين الصوفية والتأملات الطويلة .

وكان منذ زمن طويل يحلم بوضع مؤلف تقريظي للدين المسيحي . وكان يشعر شعوراً عميقاً قوياً بضرورة هذا المؤلف . ولكنه كان يعرف انه لا سبيل الى التدليل على صحة الدين وحقيقته عن طريق العقل والفلسفة . فلأجل اظهار الحقيقة المسيحية يجب ان نلجأ الى مختلف انواع البرهان . يجب ان نستخدم العقل والحدس معاً وان نبرهن على طريقة العالم والمؤرخ والفقيه والشاعر والصوفي . الا ان باسكال لم يوفق الى انجاز كتابه المذكور الذي كان يريد به هداية الملحدين . واخذ يسجل بخط محموم لا يقرأ الا بشق الانفس كل ما كان يخطر له الا ان الموت فاجأه وحال دون اتمامه لهذا العمل العظيم .

ويمكننا تلخيص اهم افكار هذه الملاحظات التي تركها لنا باسكال والتي عرفت بكتاب (الافكار) في الامور الخمسة التالية :

اولاً : ليس الدين مخالفاً للعقل . وهذا قسم تمهيدي يرمي باسكال من ورائه الى حمل اولئك الذين يبحثون عن الحقيقة فلا يجدون في انفسهم الا الشك على الاعتقاد بان الدين يمكن ان يدافع عنه عن طريق المنطق والعقل وكذلك يرمي الى البرهان لاولئك الذين يفتشون عن السعادة فلا يجدون الا البؤس والموت بان الدين نافع عملياً . وبكلمة مختصرة يريد باسكال في هذا القسم التمهيدي حمل قارئه على عدم احتقار الدين لمجرد التقليد . وهنا يورد باسكال مثل (الرهان) ، فيقول اذا كان الدين المسيحي خاطئاً فالمسيحيون لا يفقدون الا ملذات كاذبة في سنوات قليلة واذا كان الدين المسيحي صادقاً فالمسيحيون يكسبون باتباعه سعادة ابدية . ففي اتباع التعاليم الدينية يضحي المؤمن بامور زائلة في سبيل امور ابدية خالدة . وشتان ما بين التضحية ونتيجتها .

ثانياً : ان الدين المسيحي يعرفنا بطبيعة الانسان . وهنا يصف باسكال للانسان عظمته وانحطاطه : نواحي قوية ونواحي ضعيفة وبصورة عامة جميع المتناقضات التي تجتمع في طبيعته .

ومهما كان حظ كلامه من الصواب قليلاً فهو بهذه الطريقة يثير فضول الانسان الى معرفة اسباب هذه الاحوال المختلفة الى حد الغرابة في طبيعته . ويوجهه في سبيل ذلك الى النظريات الفلسفية والاديان السماوية مظهراً عدم فائدتها وضعفها وعجزها . ثم يحمله

به : خير لا يمكن ان يفقد ولا يمكن ان يبعث مللاً .

رابعاً : يجب ان نبرهن على ان الدين صحيح بأدلة مباشرة . ولذلك يدرس باسكال الكتاب المقدس مظهراً ان اليهود فقط كونوا لانفسهم فكرة نبيلة عن الخالق ومبيناً حقيقة الكتب المقدسة وكتاب موسى بصورة خاصة ثم حقيقة المعجزات في العهد القديم ومبرهناً عن رسالة السيد المسيح واخيراً مظهراً في حياة ومعجزات الحواريين وفي اسلوب الانجيل ثم في تاريخ القديسين والشهداء وكذلك في تفاصيل انتشار المسيحية الادلة الناطقة على المصدر الالهي للدين المسيحي .

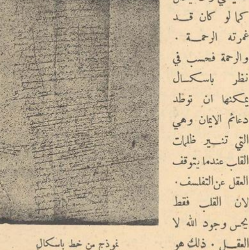
وبينما كان باسكال يواصل هذه الدراسات كانت تسيطر على فكره فكرتان رئيسيتان :

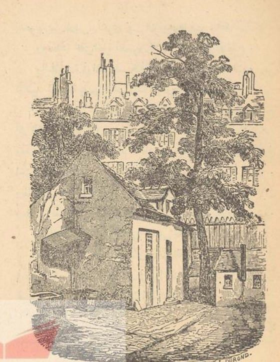
اولا : ان الدين في اساسه لا يقبله العقل ومع ذلك فقد انتشر واستطاع ان يستقر . فانتشاره واستقراره يدلان على القوة العليا التي تتعدى الطاقة البشرية والتي كانت مصدره الاول الا وهي الله

ثانياً : انه من الضروري للدين ان يكون غامضاً عسير الفهم . لانه اذا كان جميع الناس يفهمونه ويدركون كل الغازه واسراره فجميع الناس سيؤمنون به ويعملون بتعاليمه وينقذون انفسهم من عذاب الآخرة . غير ان الله لا يريد ان يظهر الا للمختارين المصطفين من خلقه .

خامساً : كيف يستطيع الرجل المسيحي ان يصبح مؤمناً . وبعد كل ما ذكرناه آنفاً يصل باسكال الى هذه النتيجة :

على المرء ان يؤمن . وفي انتظار الرحمة عليه ان يعيش في جو مسيحي وان يعمل كما لو كان قد غمرته الرحمة . والرحمة فحسب في نظر باسكال يمكنها ان توطد دعائم الايمان وهي التي تنير ظلمات القلب عندما يتوقف العقل عن التفلسف . لان القلب فقط يحس وجود الله لا العقل . ذلك هو


نموذج من خط باسكال



الدار التي مات فيها باسكال

بعد ذلك على التأمل في تاريخ الشعب اليهودي الذي هو في الحقيقة تاريخه وقانونه ودينه فيجد فيه قصة سقوط آدم على الارض ، وهذه الفكرة عن الطبيعة الانسانية التي بدأت كاملة ممتازة ثم لم تلبث ان انحطت من جراء الخطيئة تلقي نوراً على المتناقضات التي لمسها فيها . ونظرية السقوط الى الارض وحدها فقط تستطيع ان تفسر التناقض الغريب الغامض الذي يميز الطبيعة البشرية . ومن فضائلها الكبرى هو انها توحي فكرة الله والعبادة الواجبة له بطريقة ترضي العقل والمنطق

فالدين الذي يعرض لنا ذلك كله والذي عرف الانسان تماماً واحسن الكلام عن الله جدير بان نحترمه وان ننظر اليه بجد حتى ولو لم يكن صحيحاً .

ثالثاً : ان الدين المسيحي محبوب لانه يعد بالخير الحقيقي . فالانسان يرغب بطبيعته في السعادة . والدين المسيحي هو دين الحب والحنان . فالمسيح هو المنقذ والمصلح الذي يسعى بالسلامة والعفو للانسانية المنحطة البائسة . والمختارون سيصيبون سروراً سرمدياً . ذلك خير نقي كامل ، لا يبلى كالذي يطلبه العقل ليتعلق

الايمان الحقيقي الثابت الاركان .

قيمة آرائه الفلسفية — يختلف باسكال عن معاصريه بتحديه العقل الانساني ، بصوفيته ، بمزاجه الحاد وحسه المرهف ، بقوة واقعية تصوره ، وبعدم اكتراثه بالجمال .

وقد اخذ افكاره من مصادر مختلفة . فهو مدين بارائه المسيحية لاباء الكنيسة الكبار وبارائه الفلسفية (لمونتين) .

وباسكال كسواه من ادباء عصره ومفكريه كان يهتم بالحقيقة اكثر من اهتمامه بالجديد . ولكنه كان يمتاز بقدرته الفائقة على كشف جوانب الحقيقة الخفية وعرضها باروع اسلوب واعمق تحليل وهذه الموهبة في التعمق تظهر جلية في كل كلمة في «افكاره» .

وقد استطاع باسكال ان يقف على اكبر مسائل العلم الحديث واخطرها شأناً كمسألة الوراثة الخلقية ووحدة النفس البشرية ونسبية المعرفة العلمية الخ . . .

وعقلية باسكال تؤلف وحدة لم تضطرب في يوم من ايام حياته . واذا ما تطورت ونمت واتسعت افاقها مع الزمن فقد عرفت كيف تظل محافظة على هذه الوحدة . وقد انتهى بباسكال الامر ان ترك كل شيء في سبيل السيد المسيح . وقد شعر ان العقل لم يكن ليطلعه الا على عالم المظاهر الذي يبعث اليأس فتوجه الى نور الايمان العظيم يستلهمه المعرفة السامية التي تفوق معرفة العقل . وهكذا فقد استطاع باسكال ان يوفق بين نزعاته الدينية وميوله العالمية .

الاديب — لم يكن باسكال يحب الزركشة في التعبير وكان كثير الكره لفنون البلاغة ولذائذ الفن . والكتابة الجميلة لم تكن في يوم من الايام هدفاً من اهدافه وانما كان ينظر اليها داعياً كوسيلة ضرورية . ولاقناع قرائه بحقيقة الدين كان يحاول ارضاءهم . وباسكال في هذا يندفع في تيار عصره وينسج على منوال معاصريه الا انه استطاع مع ذلك ان يحتفظ لنفسه بطابع خاص . وكابناء عصره حارب باسكال الصناعة اللفظية واهتم اكثر ما يكون باظهار بؤس الانسان وعظمة الله لا بتوشية كلامه والتفنن في تعابيره . «لان البلاغة في نظره تهزأ من البلاغة» فهو بحاجة الى اشياء جميلة وحقيقية في الوقت نفسه . والحقيقة جميلة في رأيه وجمالها من النوع الممتاز» .

الا ان باسكال يعترف بضرورة الانشاء المؤثر العالي للتعبير عن الافكار المؤثرة السامية . اذ يجب ان لا نجعل الصغير كبيراً والكبير صغيراً فنمسخ الاشياء . وهناك مواطن يحسن فيها ان ندعو باريس باريس واخرى يجب ان ندعوها فيها عاصمة المملكة .

وهكذا نحقق الغاية القصوى للانشاء الا وهي الاقناع .

والبلاغة في نظر باسكال هي فن يقصد منه التعبير عن الاشياء بطريقة يفهمها الناس بلذة وبدون اي عناء

واهم ما يمتاز به اسلوب باسكال هو انه خلو من كل اثر من آثار الصنعة . وقد قيل عن هذا الاسلوب انه «هندسة مستقلة» . وله صفتان تلازمانه ايضاً هما المنطق والعاطفة . وباسكال دقيق في اختيار الفاظه فانك لا تجد كلمة من كلماته في غير موضعها . وباسكال يسكب في جمله وتعابيره كل ما يحس به من انفعالات ومايبدو له من تصورات وخيالات لانه شاعر ومنطقي في الوقت نفسه .

ذلك هو باسكال في شتى نواحي تفكيره وعبقريته .

وانا نأمل ان نكون قد وفقنا في اثارة رغبة قرائنا الكرام في درس باسكال او بالاحرى في مواصلة درسه والتعمق بها نظراً لقيمة افكاره واثرها في التراث الفكري العام .

خليل محمد عيناني

رسالة الاديب

بقلم خليل هنداوي

استاذ الادب العربي في تجهيز حلب

ان للاديب رسالة علوية من اقدس الرسائل ؛ ولكن اديبنا لا يعتقد برسالة ؟ ولا يفرض رسالة على الناس فرضاً ؛ فهو انفصالي، انعزالي،منكمش على ذاته ، لا يثق بان له القدرة على شق طريقه ! وطريق شعبه معاً ! واذا كان للاديب رسالة فما هي هذه الرسالة ؟

رسائل الادب متعددة ، والادباء في ذلك انواع وألوان ، ولكل نوع طرافته وقيمته ! فمنهم الاديب الذي يحيا لنفسه ، والاديب الذي يحيا لسيده، والاديب الذي يحيا لامته ، والاديب الذي يحيا للانسانية جمعاء !

١ – الاديب لنفسه : هو الذي تعوّد الحياة مع اوهامه وحدها ، وهي التي تمنعه ان يخرج من عالمه السطحي ؛ هو رجل حالم هائم أناني لا يحب العالم ، وانما يحب عالم مخيلته ، انه ليس بحيوان اجتماعي وانما هو ذاتي منعزل منكمش على ذاته . هذا الاديب يعيش في مجتمع ينظر الى فنانيه وأدبائه كاشياء (نافلة) وكاشياء جميلة لطيفة لا تنفع ؛ تصلح للتعليق على الجدران ؛ او لاملاء ساعات الضجر ! ولذلك يلتف الفنان على نفسه ، ويتعلل بنهش أحشائه ؛ . . . ويشتغل لامتاع قلبه ، او لفئة تلاءمت ميولها معه . هذا مثل الاديب الارستقراطي ، الذي ينعزل في برجه العاجي . . .

٢ : والاديب لسيده – ومـا اكثر هذا النوع في الادب العربي ! هم يحرقون الاعمار والايام ليبتدعوا تشابيه ترضي اسيادهم الممدوحين . وهذا ادنى ما تمخض به الادب ، لانه ادب الكذب والرياء ، ادب الشخصية الهزيلة ، والعبودية السقيمة !

٣ – والاديب لامته ، هـذا الذي يرى في ألامها ألامه ، ويجد ذاته متحدة مع ذاتها . وهذا النوع من الادب تخلقه الازمات على اختلاف انواعها .

٤ – والاديب للانسانية – هو الذي امحت في ذهنه الفواصل والابعاد ، واصبحت الانسانية عنده كالبحر المترامي . . . كل ذرة فيه متصلة ببقية الذرات ، وكل موجة تتوشوش باسرار كل الامواج . أصبحت عاطفته شاملة ، وشعوره ممتداً تهتز فيـه كل أحاسيس الانسانية من ألم وشقاء ، وفرح وهناء !

* * *

هذه نماذج مختلفة لرسالات الاديب ويبدو لي ان الامم نفسها تختلف في انتقاء النماذج الادبية لنفسها ، لان ذلك يتطور بحسب ازماتها النفسية ، وحاجاتها الروحية . وهذا الاختلاف اثار مناقشة حادة في الغاية من الادب ؛ « أغايته النزعة الفنية، او النزعة الخلقية، او النزعة القومية او النزعة الانسانية» ؟ ولكن هذه الامم كلها – على اختلافها – متحدة في اهمية سلطان الادب والفن . حتى اراد بعضها تسخيره للدعاية ، والقومية . . . والادب هو ذلك الذي لا يعيش الا في جو صاف من الحرية ، لان تسخيره للقومية ، او الانسانية ، ليس معناه الا تسخيره للحرية .

* * *

والان ما هي الرسالة التي يجدر باديبنا ان يعتنقها ؟

ان اديبنا لم يفكر يوماً في ان يؤمن بان له رسالة ادبية . . . ولذلك يحيا لكل شيء الا للادب، ويؤمن بكل شيء الا برسالة الادب ، لا يزال يستوحي من القديم نماذجه ، واذا اراد ان يدخل في الحياة الحاضرة ، لمسها لمساً دون ان يجري ان يهزها هزاً ! فنماذج القديم قد تكون رائعة مقدسة ، ولكن لا يمكننا ان نستوحي منها افكارنا وحاجاتنا الحاضرة ، لانها أصبح مثلها كمثل الآثار في المتاحف ، حياتها ان تبقى محفوظة في المتاحف ، لا ان تخرج باكفانها لتفرض على الاحياء . لان ملامح الادب يجب ان تتبدل

دائماً . ولكل عصر فن حي كفن النوادي ، وفن ميت كفن التماثيل والمتاحف التي تضم الاثار العظيمة . . . فقد تكون صور المتاحف ، والقصائد المعلقات أعلى واجمل من صورنا وشعرنا الحالي ، ولكن عيبها في انها من الآثار الميتة ، بينا الصور الحالية ، حيـة عندنا !

هذه النماذج التي لا تزال نفرضها في مـدارسنا ينبغي لنا ان ننقيها ، لانها ، او لان اكثرها معجون من طين لزج لا قيمة لـه ؛ فلماذا لا تزال تخدع شبابنا بالوانها وصدفها ؟ وتحمل طـلابنا على تذوقها – بالرغم منهم – ونبعدهم عن ادب الحياة .

***

والحق اننا نهزأ بآلامنا ، وآلام امتنا حين نكتفي – بالادب الذاتي ، والفن الخالص ! . .

ان خير الادباء هم اولئك الذين ينعشون ارواح امتهم بشـل اعلى يدفىء ارواحهم ، ويغري عقولهم ، ويجدد وجودهم في كل لحظة . . .

ان خير الادباء من لا ينكرون الشقاء انكـاراً اعمى ، ولكنهم يبثون معه روح النضال والتغلب عليه . . . يقولون : ان الكون جميل ليعيدوا الينا ايماننا واطمئناننا ، والنضال ضـد الآلام التي تحيط بنا ليس عبثاً . . . بل يرون ان الحياة ليس من واجبها ان تحمل الينا المسرات الخالصة ، وانما تحمل الينا الشدائد والتجاريب والمصاعب لنتقبلها كلها « لان من ضروب الشجاعة محبة الحياة على اي حالة كانت ! . والاديب الحق يعيش شخصياً ، ويكون قومياً يحيا حياة مشتركة مع مجتمعه !

***

هنالك ادب يكثر اتصالة بالحياة والمجتمع هو الادب الروسي الحديث . فـالاديب الروسي ليست مهمته في ان يتحف قراءه بالاخبار ، ويلذهم بالقصص . وانما همه ان يبدل . . . ويغـير عواطفهم – ظاهراً وباطناً – وعلاقاتهم الانسانية بعضهم ببعض . ويساعد قراءه على ان يقروا بوجود الفتهم . وهذا هو الادب الذي يسعى الى ان يغير الرجال ؛ وليس من المبالغة ان نقول : ان الكتب الادبية الروسية تحول الحياة وتطورها . ويقول – ستالين – عن الكتاب الروس « انهم مهندسو النفس البشرية » ! وهكذا نجـد هذا الشعب يلتفت الى كتابه ايحلوا معه المسألة الاخـلاقية والاجتماعية كما يلتفت البناة الى المهندس ليساعدهم في مادة البناء . فالمسألة بين الكاتب والقارىء مسألة صلة حية تجمع مـا بينهما .

والكاتب الروسي يتلقى من قرائه كتابات ، يسألونه فيها : كيف ينبغي لهم ان يعيشوا ؟ ولماذا هذا البطل لم يفعل كذلك في حياته ، كأنهم محاط بالحب لا يعيش فيهم كالوثن الفارغ ، او نصف اله ؟ وانما هو رفيق محبوب وصديق !

ومهمة عمله لا تسمح له بالانعزال ، لانه مضطر الى ان يهبط في كل ساعة الى اعماق الجديد ليبحث عن عناصر موضوعه . وليس امامه نماذج قديمة يستلهمها – كما نفعل نحن – لان واجبه ان يعيش مع الفتيان الذين يحيطون به . ولو شاء ان يكتب رواية تاريخية لوجب عليه ان يتزل في الحياة الكثيفة الحديثة ليرى الماضي نفسه بعيني الرجل الجديد . . . الكاتب الروسي مسافر متنقل يصحر ويبحر ، ويدخل المصانع ، والبحث عن عناصر موضوعه هو اهم ما يشغله في حياته . فيرى اشياء كثيرة ويبدأ بعملية الانتقاء قبل ان تتشكل الصفحة الاولى في رأسه . ليس همه ان يرى مـا لا يراه الغير . ولكن همه ان يرى الاجدر بالرؤية ! والتاريخ الادبي لا يعرف تكشفاً ادبياً مثل هذا التكشف في الادب الروسي ، اذ لا باب موصد بوجهه ، ولا قلب مكتوم عنه . فهو الضيف المرغوب بـه حيثما نزل ، اذا حل بمكان قصوا عليه قصة آمالهم وآلامهم . الجنود يدعونه الى معسكراتهم ، والبحارة الى سفنهم ، والعمال الى مصانعهم والقرويون الى حقولهم ؛ والرجال الذين يعتنون بالابناء الجديد يطلبون الى ادبائهم المساعدة والجهود منهم . وكل واحد من ابناء الحياة يقول له صف لنا لحظاً ! وليس معنى ذلك ان الافق الادبي ضاق عليهم . فالاديب حين يوجه قارئه الى هـذا العالم ، ويريه جمال الحياة وكمالها ، يمنحه اقصى القوة المبدعة في المسكن الذي يقيمه والعمل الذي يعمله . . . فهو والجمال والتجويد والاتقان ، في سباق رهان !

اما اقبال الشعب على الادب ونوادي الادب فـلا يعرف له مثيل . مقالاتهم تملأ الصحف ، واذاعاتهم تغص بها امواج الاثير . وقد ذكروا ان النوادي الادبية يقوم الشرط على حمايتها لازدحام الناس ، لان عدد السامعين يفوق جو المكان – على عكس ما تراه في نوادينا التي يدعى اليها المثقفون دعوات مصحوبة بالدلال . في الوقت الذي يفتح فيه احد شياطين الانس – معرضاً لرأس مقطوع يتكلم – فـلا يروعني الا ان ارى الناس يتثالون عليه ، كانهم يستقبلون حقيقة ترفعهم ، او ابتداعاً يبـدل من عقولهم ؛ ولكن عزاني عن ذلك في ان بعض الادباء لم يدخل الى الرأس لانه مقطوع ؛ ولكنها دخلت الى رأس موصول ، برؤوس مقطوعة وعقول فارغة !

من اعلام هذا الادب العالمي اديب كبير عاش في حمأة الشقاء، هو – مكسيم غوركي – الذي يعد اكبر ادباء الروس اصالة ودلالة على مميزات هذا الادب: عـاش في علية حجرية تحت سقف من خيوط العنكبوت، في الوحول يعمل، وبين الغبار يعمل، حتى بات يكره عمله «ولا يأكل ما تخرجه يداه» وفي هذه البيئة اتصل بالاوساط المنحطة، وتذوق آلامها ثم وصف اختلاجاتها.

هذا الاديب الذي طالما هاجم الطبقة المثقفة لاهمالها وتهاونها يقول بلسانها: اننا نعيش فارغين لا قيمة لنا محرومين من السعادة. نحن عـدد وافر والعدد – كما يقولون – قوة. نحن تسوقنا آمال واسعة، صافية، شريفة. ولكن فيم هـذه الانهار الزخارة من المقالات، ولا ذرة – عندنا – من عمـل! كتاب يكتبون، وآخرون يقرءون، وبعد القراءة يتجادلون، وبعد الجدال ينسون ما قرءوا. الحياة عندنا شيء مضجر، يقتل، اكمد اللون، حمل لا كالاحمال، نحمله ونحن نلهث تعبا، ونشكو الى انفسنا ثقل هذا الحمل»

وآخر من ابطاله يخاطب هؤلاء المثقفين:

– اريد ان اقول لكم، انكم خير فئة في بلادي، وجودكم كلف دمـاء كثيرة، ودموعاً غزيرة ذرفتها الامهات والآباء في الوطن. لكم تعزون انتم على هذا الوطن فماذا صنعتم من اجله؟»

مكسيم غوركي يكاد يجمع في تأبينه الرجل المثقف «بأنـه عبد يستقل بفكرته، ولم ينعتق من كل مـا يستأسره من الاهواء الكاذبة، في انه عبد بقلبه وروحه للفضيلة القديمة، وانه متهالك على النظر الى منافعه الشخصية...»

ان حياة – غوركي – المتشردة جعلت اثره الادبي انسانيا، افتح اية صحيفة من كتبه تجد هذا القلق يتمثل على ابطـاله دائماً، فالى اية غاية يسعى هؤلاء؟ وماذا يريدون؟ انهم ذخيرة من قوة هائلة، لكنهم لا يعرفون استخدامها. لم يخرجوا من دائرة حياتهم الطبقة التي يكرهونها، ويعسر عليهم ان ينهجوا في الحياة غـير منهاجهم الذي هم فيه!..

من اسباب هذا القلق؟ اسباب تعود الى انهم يعيشون بدون غاية، وجدوا على الارض ولا يعرفون الفائدة التي جـاءوا من اجلها...

– ليس لي سقف ولا امرأة ولا اولاد، فبماذا التعلل؟ ومع هذا لا افكر في انشاء اسرة لي... اعيش واضجر. من اي شيء؟ لا ادري. تنغصني روح في صدري! افهمت ذلك؟ انى لي ان اعبر لك عن ذلك؟ تنغصني شرارة في روحي تنغصني قوة كائنة ما كانت.

وينظر – غوركي – الى مهمة الادب، فيتوجـه الى الادباء، والى من يمثلون الثقافة، فيجد نفسه ينقصه العقل النير الواضح الذي يوازن بين مظاهر الحياة.

– اني اعرف شيئاً واحداً – ليست السعادة هي التي نطلبها، ماذا نعمل بها؟ ليس معنى الحياة في البحث عن السعادة الضالة، لان الاكتفاء بالملذات المادية لا يملأ النفس، ان في الجمال ينبغي لنا ان نبحث عن معنى الحياة، وفي قوة الارادة... بل يجب في كل لحظة من اعمارنا ان ينجلي لنا مثل اسمى وهدف اعلى. ان انسان اليوم فقد جرأته، واصبح قليل الميل الى الحياة، لان رائحة النتن تحيط به، والجبن يخنق قلبه، والكسل يغل يـده وروحه. مع ان الحياة نفسها تزداد عمقاً يوماً بعد يوم، والناس تكثر اسئلتهم عنها. فعلى الاديب ان يجيبهم على اسئلتهم، واجوبته لا ينبغي ان تكون صورة عن حياتهم اليومية، وانما يجب ان توقظ في قلوبهم الظمأ الى الحرية، وان يجعل كلماته قوية، ليخلق في الانسان رغبة مستقلة لخلق اشكال جديدة من الحياة...

يخيل الينا اننا بحاجة الى احلام جديدة وابداع جميل، وأماني اكثر ايحاءً للنفوس، لان الحياة التي نحياها الان فقيرة من الالوان، باعثة على السأم لجمودها. فالحقيقة التي نزيد تحويلها وتمويهها قـد حطمتنا وهدمتنا، فمـاذا نصنع؟ لنجرب... قليل الابتكار والخيال يساعدان الانسان ان يرتفع قليلاً ليبصر من جديد المكان الذي فقده على الارض!

هؤلاء بعض نماذج ابطال الكاتب الروسي... كلهم يبغضون الحياة لانهم يريدونها أعلى!.. وعلاج هذا الداء عنده عبادة الجمال، والتمرس بقوة الارادة الحرة، والاتجاه نحو مثل اعلى.

في مسرحية (ابناء الشمس) وهم المثقفون نجد غرض هؤلاء ان يجعلوا الحياة جميلة صالحة ملائمة للكل، يريـدون ان ينشئوا مستقبلاً لامعاً. ان هؤلاء ليسوا بعاطلين ولا هازلين، وانمـا هم رجال اعتنقوا اعظم رسالة في الوجود!

ومن لم يقرأ – رواية الام – لمكسيم غوركي. وهي قصة هؤلاء الذين تفتحت لهم الحقيقة الجديدة، ولعبت بارواحهم لعب النار بالهشيم... هذه الام التي قضت حياتها في الضنك والبؤس ولم تعرف من حياتها الا الالم الصامت،

قال لها والدها حين حملها على الزواج:

— عبثاً تغضبين وترفضين ... هنالك بائس يريـد يدك ، خذيه ! كل البنات يتزوجن . وكل النساء يلدن . وكل الاولاد هم وشقاء لاهليهم . الست انت واحـدة من هؤلاء الخلائق البشرية ؟

لكم نذكر مأساة هذه الام كل يوم وراء جدراننا !

هذه الام اليائسة نفسها هي التي تقول « ان الارض تعبت من الظلم والشقاء ، فهي ترتعش بهدوء لتعانق رسول الشمس الجديـد المولود على صدر الانسان ...

***

اين اديبنا الذي يدرك روح هـذا القلق المرتسم على وجوه فتياننا وفتياتنا، فيقول لهم : ليس من القلق الاستسلام، ولا معنى الاضطراب اليأس ...

رسالة الاديب الحقيقي ان يعالج هذا القلق ، ولا يكترث بمظاهر التردد في نفوس الفتيان ، فالقلق طريق الاطمئنان ، والشك سبيل الى الايمان ؟

ان رسالته ان ينقي قلوب هؤلاء من اليأس ويبين لهم اننا لن نصل الى الحقيقة الا بعد ان نضيع الحقيقة !...

ان رسالته ان يحملنا مرة ثانية على الايمان الذي تزعزع في انفسنا ، وان ينفي الشك منا ، فنحن المستقبل والمستقبل نحن !

ان مهمته الا يعمل — كدانتي صاحب الكوميديا الالهية — الذي دخل الجحيم وحده ، وخرج منه وحده ، ولكن كغوركي الذي دخل الى الجحيم وحده ، ولم يخرج منه الا بعد ان انقـذ الملايين البشرية معه من لفحات الجحيم وبؤس الحياة ؟

***

لترتقب هذا الاديب !
فان يوم البعث لقريب
ودائماً الى الاعالي !
ليس لرغباتنا الا المد !
وليس للشك عندنا مكان !
دائماً الى الاعالي ...

في نضالنا وسلمنا ، في حبنا وبغضنا ، في أملنا وألمنا، في شكنا وايماننا ، لان التوثب والايمـان مرادفان للحرية ، والشك والاستسلام ملازمان للعبودية

خليل هنداوي — حلب

منشورات الاديب

•

لا هوادة — تأليف الاستاذ عمر فاخوري ، عضو المجمع العلمي العربي بدمشق ، وهومجموعة مقالات في الادب والنقد والاجتماع والسياسة . ثمنه ليرة لبنانية

اسبوع الثقافة في لبنان — بقلم نخبة من الكتاب . نفـد

دي غول الاديب — تأليف الاستاذ جان غولميـه ، نقلته « الاديب » الى العربيـة بعد ان نفدت نسـخه الفرنسية كلـها ، يبحث المؤلف فيه الناحيـة الادبية في مؤلفات الجنرال دي غول زعيم فرنسا المحاربة . ثمنه نصف ليرة لبنانية .

الواحـة — مجموعة شعرية للاستاذ صلاح الاسـير ، تمثل لونا جديداً من الوان الشعر الحديث . ثمنه ثلاث ليرات لبنـانية .

مكتبة الاديب

•

عمر بن ابي ربيعة — للاستاذ جـبرائيل جبور استاذ الادب العربي في جامعة بيروت الاميركية . صدر منـه حتى الآن جزءآن ، يدرس المؤلف في الجزء الاول حياة شاعر العاطفة والحب والجمال . وفي الجزء الثاني عصره والبيئات المتنوعة فيه ، ثمن الجزء الواحد ثلاث ليرات لبنانية ونصف .

مساء

يا طيب هذا المساء — وسنان ، كالرؤيا
كآبة خرساء — رانت على الدنيا
والليل قد ذرذر

لفت ظلال الشفق — في ظلها الناعم
واخضل لون الغسق — رخو الخطى ، حالم
كذائب المرمر

يا ليل . يا أسمر — يا خلوة الاحباب
هات الهوى ، نسكر — واملأ لنا الاكواب
فالعيش ان نسكر

خذنا على دربك — واسرح بنا نسرح
يا ليل . في هدبك — سر الهوى لوح
وانهل ، واستبشر

يا ليل . عاش الليل — عاش الهوى والكاس
قالوا ، تحب الليل ؟ — غمغمت : لولا الناس
فالناس كل الشر .

يا ليت هذا الدهر — في طوله ليلة
او ليت هذا العمر — ينحل في قبلة
اشهى من الكوثر

يا ليل . قم نسر — فالحب نادانا
خذني الى قبري — — ان مت — سكرانا
يا ليل . يا اسمر

◆

رجيلة

مهداة الى روحي الفيصل

قهقهت . فانكشف الهم لها — وهفت انفاسها كالطيب رطبه
والدخان الميت في احشائها — عقدت احلامه البيضاء ، هدبه

نفحة نديانة في فمها — برعمت ، وانسربت في الجو ، كسلى
غمغمت تدعو ، فزقتها يدي — — وفي في فمها — غلا وغلا

ضقت بالناس ، فناديت بها — وانزوينا وحدنا ، في زاوية
لذة . ناعمة . مبهمة . — خطفتني نحو دنيا ثانية

لذة ، أغفيت في اهدابها — وعلى هدبي شيء كالذهول
نشوة كالخمر ، غامت في دمي ، حلوة ، تنساب كالطيف النحيل

حدثت . فانبسطت نفسي لها . — طفلة تعثر باللفظ وتحبو
او عجوز ، ذهب الدهر بها — ثرثرت . وانكفأت كالظل تخبو

رحت احدوها فنامت في يدي — لا تعي ، واستسلمت ماء ونارا
رويت . فانطفأت غلتها — واستفاقت غلتي ، والحلم طارا

وصفي قرنفلي — حمص

التربية في القرية

بقلم واصف بارودى
مفتش عام للتعليم الثانوي في وزارة التربية الوطنية اللبنانية

●

لا يكاد معلم القرية يأنس بتقدير رؤسائه له ، ويشعر بثقتهم به ، حتى يتقدم بطلب نقله الى المدينة، تلك هي المكافأة العظمى التي يتمناها اذا اطمأن لحسن تأثير نتائج اعماله !

ومن لم يجد من عمله شفيعا يجرئه على تقديم هذا الطلب مباشرة ، عمد الى التأثير بوسائل ، قد لا تشرفه ، وهي الوسائط واستغلال الظروف . وهذه وسائل تفقد المعلم حريته واستقلاله ، فيتنزل عن كثير من الكرامة والاباء ، وهما الصفتان الاساسيتان اللتان يجب ان يتحلى بهما من يفرض فيه انه يربي النشء على مبادىء الكرامة والحرية والاستقلال .

ومن المؤسف حقا انه قد يستخدم هذه الوسائل احياناً بعض الذين يتمتعون بالتقدير والثقة ، اذا يئسوا من انصاف رؤسائهم لهم ، وهم يعتقدون ان النقل الى المدينة ، هو الانصاف والعدل ، وان البقاء في القرية هو منتهى الظلم والجور .

هذه هي حالة القرية اللبنانية اليوم مع المربين فيها . واذا وجد بينهم من يظهر الارتياح ، وهؤلاء هم الاقلون ، فانما يدفعه لذلك مأرب شخصي يتعلق بمعيشته او بارض يمتلكها او باعمال له بها صلة ما .

فالقرية اللبنانية في ازمة — قلت القرية اللبنانية لانها موضوع البحث والا فالازمة عامة تهدد الحضارة في الشرق والغرب — يهجرها اهلها غير مبالين عند اول فرصة تسنح . ويأبى المربون البقاء فيها ليقوموا برسالتهم الوطنية الانسانية التي تقضي « بتوجيه النشء اللبناني شطر الارض وترغيبه في التعلق بها واستغلالها ، على ما المع اليه تعميم الوزارة مؤكدا « ان لبنان بلد زراعي يعتمد الى حد بعيد على محصولات الارض وما ينبثق منها من صناعات زراعية لحياته »

يهجر الاهلون القرية ويأبى المربون البقاء فيها . ويخشى من يوم تصبح فيه القرى مأوى للعجز والبلداء والحمقى ، فتبخل عليها الحياة بخصبها وينضب معينها ، فيرث الارض التي ورثناها عن جدود كرام ، لم يهملوها ، اقوام آخرون اكثر صلاحا واعلى همة للعمل . وهكذا تضمحل الامم وتتلاشى !...

ان امة يهمل امر القرية فيها ، ليست بالامة التي كتب لها الخلود . ففي القرية تتفجر ينابيع حياة الامم ، لا بما تغدق عليها من محاصيل وارزاق ونعم فحسب : بل وبما ترسل الى النفوس من اشعة روحانية ينتعش بها القلب ، فينبعث عنه شعور عميق بالاباء والكرامة ، وفهم صحيح لمعنى الحياة ، وادراك حقيقي لنواميسها ولنواميس القوة فيها .

يقف ابناء هذه الامم التي عرفت كيف تنير نفوسها بتلك الاشعة الروحانية ، وكيف تغذي قلوبها وادمغتها بتلك المعاني اللدنية ، التي تمنحها الطبيعة الخيرة لابنائها ، يقف هؤلاء الابناء امام وجه الحياة ، مستعدين للكفاح والجهاد اذا هي تمردت ، والتمرد من طبعها ، فيشقون طريقهم فيها باقدام وشجاعة ، فلا تلبث ان تلين قناتها وتهدأ ثورتها ، فتخضع للعزيمة القاهرة وللحزم الثابت والمثابرة الصابرة ، معجبة كل الاعجاب بتلك التضحيات التي يبذلها الانسان الحي في سبيل كرامته ومنعته واستقلاله .

تعجب الحياة وتزهو حين ينتصر عليها الانسان الحي ، لانه يحاربها بقبس منها ، فهي المحاربة وهي المنتصرة ، ويلذ لها ان تتمثل دائما بخمرة الانتصار وان تغمرها دائما تلك النشوة . لذلك كانت الحياة جهادا ، والويل لمن لم يتهيأ لها وله ! . .

نعم ، في القرى والحقول ، في البراري وفي الصحارى ، تهب الحياة السلاح والعزيمة لمن يريد الكفاح ويرغب في المجد والعظمة ، ولا مجد بلا كفاح ولا كفاح بدون سلاح !

هناك منابع القوة وهناك تتسلح الامم لمكافحة الحياة وللجهاد فيها . كتب على مدخل احدى المدارس الثانوية الحديثة المؤسسة في احدى البيئات القروية في فرنسا ، وهي مدرسة لاروش ، ما معناه : « هنا يتسلح النشء جيدا لمكافحة الحياة »

كلمة رائعة يجب ان يتخذها المربون شعارا ، وعليهم ان لا يفهموا منها الوسائل التربوية الحديثة وحسب ، بل وان البيئة الضيقة التي اتخذتها هذه المدرسة وامثالها هي اعظم وسيلة لاعداد النشء .

لنسر قليلا بخيالنا وعقلنا في ميادين الحياة ، لنسر قليلا في تلك الميادين ، على ضوء التاريخ الذي يصف لنا مواقعها وما نتج عنها من انتصار وانكسار وعز وذل وجهاد وتقاعس ، واستقلال واستعباد وتقدم وانحطاط ، لنسر بتؤدة لنكتشف منشأ النهضات الكبرى في الامم ، افلا نجده في الصحارى وفي البراري وعلى رؤوس الجبال ؟ افلا ينتهي بنا البحث والتنقيب الى ان القرى والحقول كانت ولا تزال خير مصدر لتلك النهضات ، واوفى معين يمدها دائما بالحياة والقوة والبأس ؟

اين كان يربي رجال النهضات ابناءهم ؟ افي المدن ام في القرى ؟ الا تذكرون شيئاً عن تلك البادية التي كان امراء العرب وملوكهم وعظماؤهم يرسلون ابناءهم اليها ابان نهضتهم الكبرى ؟ واين نشأ وترعرع الاميران فخر الدين وبشير ؟ في بيروت ام في القرية ؟ ولا اظنني مغاليا او مفرطا اذا قلت : اننا نجد في سيرنا هذا ان روح القرية والبادية تدب في عروق رجال النهضة على انواعها دبيب الخمرة في اعصاب الثمل !

هذه الحقيقة التي تنكشف لنا في سيرنا هذا . وهي هي الحقيقة التي انكشفت لرجال المدرسة الحديثة عندما اعلنوا ان التربية الحديثة الصحيحة لا تتم الا في الحقول والمزارع ، متبعين بذلك رأي روسو ، رسول فكرة هذه المدرسة

كتب احد الاساتذة بحثا طويلا عن الدكتور اوفيد دكرولي ، احد ائمة المدرسة الحديثة ، ورد فيه قوله : « كان اوفيد دكرولي يفكر ويطيل التفكير ، ولكنه كغيره من المفكرين لم يكن مغرما بالكتابة وتدوين آرائه . وكان اهم ما يفكر فيه هو الفرق الشاسع بين اطفال المدن واطفال القرى . فكان كثيرا ما يوازن بين محصول كل منهما من المعلومات والتجارب عند دخولها المدرسة . فتعرف بعد البحث والمشاهدة ان الطفل الذي يعيش في المدن يعرف كثيراً من الالفاظ والمعلومات النظرية ، والطفل الذي يعيش في القرى يمتاز بميله الى الناحية العملية والمخاطرة والانتاج .

وجد ان معلومات تلاميذ المدن سطحية نظرية في اغلبها ، وانهم يعيشون عالة على غيرهم ، لا يعتمدون على انفسهم في كثير او قليل ، وان تجاربهم مستمدة من المتاحف والسينما والمعارض ، وليست كتجارب تلاميذ الريف المأخوذة من المناظر الطبيعية الحقيقية والظواهر الجغرافية وملاحظة الفصول والنبات والعواصف والامطار وغيرها ، وهذا هو الذي جعل دكرولي ينادي بضرورة جعل جميع المدارس الابتدائية بالريف حيث يمكن ايجاد البيئة الطبيعية الصالحة التي يتعلم فيها الاطفال مبادىء الزراعة وما يتعلق بها من تربية الحيوانات ومشاهدة الظواهر الطبيعية » .

فترون ان دكرولي نادى بضرورة جعل جميع المدارس الابتدائية في القرى ، وهذا رأي جميع ائمة المدرسة الحديثة ، واعتقد انه سيأتي زمن يطالب فيه بنقل جميع المدارس ، لا المدارس الابتدائية فحسب ، الى القرى ، وعسى ان يتحقق ذلك يوما عند بعض الامم الراقية التي تحرص على ابقاء روح النهضة فيها .

ولا غرابة في ذلك فان القرية هي موطن الهام عجيب ! فلنعد لسياحتنا التاريخية ، ولنسر في ميدان حديث التكوين وهو ميدان المدرسة الحديثة نفسها ، فنجد انها فكرة قروية قبل كل شيء فكرة اوحت بها الطبيعة الى البشر في القرى لتعيدهم الى احضانها اذا كانوا يريدون استمرار النهضة والتقدم والرقي في اممهم — وسيلة اوحت بها الطبيعة لتعتذر من نعمتها لمن لا يعنى بالتربية الصحيحة من الامم

فيستالوري ، ذلك المربي العظيم الذي دعي بحق رسول التعليم الابتدائي ، انشأ مدرسته التي خلدته في حقل نيوهوف . وبتعبير آخر فان ذلك الحقل تطور لمدرسة كانت مصدر مبادىء تربوية هامة دخلت في صميم المدرسة الحديثة التي يفخر بها القرن العشرون .

وفي قرية غريشايم نشأت طريقة فروبل الذي خلدت اسمه حدائق الاطفال المنتشرة اليوم في كل العالم .

وقد تفتحت عيون اول مدرسة حديثة للنور في قرية ابوتشولم من اعمال ودبيشير في انكلترا ١٨٨٩ وقد اسسها المربي الشهير سسيل ردي . وفي مدرسة قرية ويرونسين الصغيرة فكرت المربية هيلين باركهرست في طريقة جديدة اوجدت مدارس دالتون المنتشرة اليوم في جميع البلاد المتمدنة . وقد سميت هذه المدارس بمدارس دلتون بالنسبة لقرية اميركية حققت فيها باركهرست فكرتها .

ومدارس وينيتكا الحديثة انما تقوم في ضاحية من ضواحي شيكاغو كما ان مدارس سوران الحديثة هي في ضاحية من ضواحي باريس . ومدرسة لاروس التي المعنا اليها سابقاً انما تقوم في بيئة قروية .

وهكذا فانكم ترون ان هذه المدارس وغيرها من المدارس الحديثة الكثيرة اليوم انما نشأت في القرية ، وهي ترغب في البقاء فيها بعيدة عن ضجة المدن وخداع مشاهدها الخلابة ، لتعود بالنشء الى سيرة الانسان في ابان النهضة ، حين يألف الحياة وتألفه ، فيعيش مع نواميسها على وفاق تام وينعم بالخصب واليسر والطمأنينة والقوة والمجد ، عناصر السعادة في هذا العالم

افلا يليق بنا نحن في لبنان ان نعير قضية القرية الاهمية التي تستحقها ، وبلادنا زراعية قبل كل شيء ، فنوفق بين النشء والحياة لننعم بما تنعم به الامم الناهضة من خصب وقوة واطمئنان ؟

آن لنا ان نفكر وان نعمل . ولكن كيف نفكر وكيف نعمل ؟

اتفقت كلمة اهالي قرية من القرى على ضرورة فتح طريق يصل بين قريتهم والعاصمة . ولم تكد هذه الفكرة الحيوية ، بالنسبة الى تلك القرية ، تقرب من التحقيق ، حتى قام قسم من ابنائها ، وعلى رأسهم بعض الوجهاء طبعاً ، يعارض في اتمام هذا المشروع . ولم هذه المعارضة ؟ لانهم يخشون اذا تحقق ان يكون لمن سعى في تحقيقه شأن خاص في القرية فيصبح صاحب الكلمة النافذة فيها .

رأى بعضهم في هذه الحجة بعض القوة ، وكان يحب الاصلاح ، فعرض على المعارضين فكرة توحيد المساعي بحيث لا يكون لاحدهم فضل على الآخر ، فابتسموا هازئين اذ أدركوا ان مخاطبهم يجهل ما بينهم من تنافس وحزازات حزبية شخصية . واكدوا له انهم يفضلون ان تظل القرية دون طريق من ان يعملوا يداً واحدة مع اخصامهم ، لانهم يغارون على كرامتهم . ولم يكن تفكير هؤلاء الاخصام من غير هذا النوع السخيف ، ولذلك بقيت القرية دون طريق الى اليوم .

لا تزال تلك القرية دون طريق ، لان كلا من هؤلاء الناس يغار على كرامته ! وكم من اصلاح قضت عليه هذه الكرامة المزيفة وذلك التفكير السخيف ، في القرى والمدن !

فتفكير كهذا يريك الكرامة هدامة ، مانعة لكل اصلاح ، لا يليق بامة تريد ان تبني كيانا لتحتفظ باستقلالها عزيزة موفورة الكرامة .

آن لنا ان ننتقل لطور آخر ، يقتضيه تطور الحياة في العالم وفي بلادنا ، هو طور التفكير الاجتماعي الوطني الذي يطوي المصلحة الشخصية في الصالح العام ، فنحقق المصلحتين — اذ يقوم على اساس فكرة التضحية في سبيل الاصلاح ، التي يتخذها المربون نبراساً يستضيئون به في ليالي اليأس وفي ظلمات الاضطراب الحالكة

ومتى بدأنا نفكر هذا التفكير المصلح نستطيع العمل المنتج ، والعمل باخلاص ، مستمدين القوة من شعورنا الصادق وتفكيرنا الصحيح ، تسدد خطانا فكرة التضحية في سبيل مجموع الامة

واذا كان هذا هو التفكير الذي نحن بحاجة اليه للعمل المنتج فمن المطالب به اولا ؟

المربي مصلح ، فهو اولى الناس بهذا التفكير ليعمل عملا منتجا ترتاح له نفسه ويسعد به مجتمعه .

المربي هو اولى الناس بهذا التفكير الوطني البناء المحرر ، لانه

هو الذي يربي سائر الناس على اعتماده في اعمالهم ، بل وهو الذي يتخذ قدوة ، فليكن قدوة حسنة اذا كان مخلصاً يريد الاصلاح .

فنفرته من القرية لا تتلائم مع الرساله التي نصب نفسه لتأديتها ، ولا مع مبادىء التربية الحقة .

انه يلاقي في القرى صعوبات جمة ويشاهد من الجهل والحمق ما قد تشمئز منه نفسه ، هذا لا جدال فيه — ولكن الا تقضي فكرة الاصلاح بان يزيده ذلك تعلقاً بالقرية ؟

واين الاصلاح اذا لم يكن هناك فساد ؟

والذي يتراءى لي ، هو ان هؤلاء الذين ينفرون من القرية ليسوا مربين في الحقيقة ؛ بل قل انهم معلمون مستثمرون ، اذا شئت ! انهم لا يشعرون بقداسة الرسالة التي يؤدونها ، بل ربما يعتقدون ان تعليم الاولاد الالفبا ، وشيء من الحساب والمعارف العامة هو كل ما لاجله يقبضون الراتب . هم يعلمون للراتب . وهذا يقبضونه في القرية والمدينة ، فلم لا يتمتعون بحياة المدن الصاخبة وملاهيها الوافرة ، خصوصاً اذا كانوا من ابنائها

انهم لا يعتقدون بتلك الرسالة وليس لهم مثل اعلى ! فكيف تريد منهم ان يجدوا لذة الاصلاح في نفوسهم ؟ او ان يجدوها اعظم واروع من تلك التي يتمتع بها الوهم في المدن الخلابة !

بل كيف تريد من احدهم ان يجد اللذة في العمل المتواصل والجهود الجبارة وفي التنزل لطبقة الفلاح في اصلاحه ورفع مستوى تفكيره ، ليغرم بالارض واستغلالها ، وهو لا يرى في حياته المسلكية سوى اعمال آلية تقليدية تعليمية يقوم بها في ساعات معينة لا يتجاوزها ، لقاء اجر معين ؟

اننا نريد للمدرسة القروية طرقاً جديدة يستمد المربون مبادئها من روح الامة وابنائها ومن حاجات الوطن وطبيعته وتاريخه ، فتكون وسائلهم الخاصة المتفقة مع روح العلم الحديث وتنظيمهم الخاص المتلائم مع روح البيئة التي انتم هم .

اننا نريد ان يتجنبوا التقليد الاعمى ، وان تنبعث مباديهم ووسائلهم عن تفكيرهم الذاتي وتجاربهم الخاصة واختبارهم الشخصي . ونريد ان يسير ذاك التفكير وهذا الاختبار وتلك التجارب على ضوء العلم الصحيح والبحث المتواصل ، بارشاد العقل السليم المثقف والشعور الصادق الملطف ، وان يكونوا بعيدين كل البعد عن كل خيال واهم وعاطفة جامحة وتحمس كاذب .

يخطيء جداً من يعتقد انه مقيد بوسائل خاصة ، فاذا جاز تقييد المعلم ، فلا يجوز تقييد المربي الحقيقي ، وخاصة عندما يعمل على رفع مستوى الحياة في القرية ، حيث تبني الامم اسس استقلالها . فمن يؤدي رسالة وطنية انسانية في الحياة عن ادراك واخلاص ، لا تقيده الطقوس والتقاليد ، ولا تؤثر مصلحته الذاتية على فكرة الاصلاح في عمله .

اعلموا جيداً ، ايها المربون ، ان الحياة تعد اكثر مما تفي ، فلا تكونوا ممن يسرع اليهم اليأس عند الصدمات ، بل اعتصموا بالصبر والهدوء فهما حلية المربين الحقيقيين ! وهما شرطان اساسيان للنجاح في الحياة . فكونوا ممن يقاومون الصعوبات ويعملون بهدوء ، فالقرية اللبنانية تنادي كلا منكم ، فكونوا خير مجيب لذلك النداء ، واثبتوا انكم جديرون بالثقة واعملوا على توجيه النشء ، امل الامة ومستقبلها ، توجيهاً عملياً

واصف بارودي



سحر الالوان

بقلم السيدة وداد سكاكيني

بالازاهير المتألقة تزدهي الطبيعة وتكتسي النضارة والجمال ، ويرف النبات بتاويج الالوان فيهفو البصر الى تلافيف الخضرة وتضرج الحمرة وبياض الانوار ، ويتمنى الشميم لو ينتشي بعطرها ويملأ به الانفاس ، وفي سلسال الماء تصل الحصباء فيترقرق عليها عذباً فراتا ، وفي صفاء السماء وغمامها ، وعلى هامات الجبال العارية ومباسط السفوح الكاسية ، وعند مسارب الانهار امام البحر الهدار يمتد مده ويرتد جزره ، وفي هدأة السحر في ضياء القمر وعتمة السرار ، وعلى كل شيء فوق الارض وتحت السماء من طير وحيوان وانسان ، على كل هؤلاء من صامت وصارخ وجامد وحساس تتبين الالوان زاهية وقاتمة ، فاقعة وناصلة ، وما رداء الحياة إلا الالوان وصبغتها ، ومن يدري فلعل الله حين خلق الدنيا سبق في خلقه الحكيم ان ابدع الالوان قبل محشر الاكوان

ان منها نصيباً لكل خافق بروح او هامد بجسم ، قدرة خارقة تتجلى في عناصر الطبيعة الاولى فلو نزع الخالق الاعظم الوان خليقته لحرمت الحياة نعمة الجمال ، ولغارت من الكتب والمعاجم التشابيه والنعوت وغاض في الدنيا معين الفنون ، فاين مصير الشعر ومن الالوان خيوطه وقوافيه والفاظه ومعانيه ؟ وما حظ التصوير وعلى ألواحه سحر الخطوط وعبقرية التلوين وما شأن المصورين لو لم تكن الالوان مدار صنعهم وابداعهم فاذا كان الفن مدينا للالوان فان العلم لا يستغني عنها ومختبرات الطب الحديث تلون الجراثيم لتراها وتعرف حركاتها واشكالها ، ولولاها لجف البيان واقفرت المتاحف وتعطلت القرائح ، فاين من يصف سواد الشعر وشقرته وحور العيون وشهلها وورد الخدود وبضاضة الزنود ؟ وما خبر الشفق الاحمر والدم المسفوك وكانا وحيين من لون واحد لشاعرين ، احدهما الزهاوي الذي قال :

وقد أرى شفقاً قانياً كلون الدماء
كأنما هو رمز الى دم الشهداء

والآخر المعري الذي رأى في ظلام عماه الوان الوجود باحسن مما رآها المبصرون فقال :

وعلى الصبح من دم الشهيدين علي ونجله شاهدان
ثبتا في قميصه ليجيء الحشر مستعدياً الى الرحمن

وحين اذكر المعري الضرير ارى الوانا كالحة قاتمة شملت عينيه فانتظمت حياته كلها واضفت النقمة والتشاؤم على ادبه وفلسفته ، فن اللون صبغة الادب وروحه ،وما ادب في دنيا الشرق او الغرب الا والالوان مهيمنة عليه ممزوجة به مزج الارواح بالاجسام ، ولقد زعموا ان ابا العلاء كان لا يعرف الا اللون الاحمر ، اذ اصابه الجدري في طفولته ، فذكر ان اهله البسوه في مرضه رداء احمر ، ومن عجب ان يفتن هذا الملهم الاعمى في اوصافه فيشبه الليل الاسود بزنجية عليها قلائد من جمان ، ويتمثل سهيلا من بين الكواكب محمرا خافقا كوجنة المحبوب ، وعلى ذكر المعري تخطر في البال السمفونية الرعائية لاندره جيد فتمر بالخيال تلك الفتاة الضريرة التي آواها الى بيته شفقة وحنانا ثم شغفته حبا ، فكانت تصف له ما تشعر به وما تتخيل من خلف جفونها المطبقة ، فلما كشف الطبيب عن عينيها حجاب الظلام ابصرت النور وهي صبية ورات صورتها بالمرآة فقالت : كنت التمس الالوان بعيني واحسها ببصيرتي كأنها جسوم بارزة ، وكان بشار ينعت الحسان بأحلى الالوان حتى عجبت احدى الغواني من نعته لها وكيف يجيده وهو مكفوف البصر على ان العربية لم تعرف شاعرا برز على ابن الرومي

في وصف الالوان اذا كان مرهف الوعي لاشكالها وظلالها وشيك التلقي لمعانيها ورموزها فكانت حدة شعوره بمدلولاتها من ابرز خصائصه ومزاياه ، ولم يدع هذا الشاعر المصور شيئاً من مجالي الطبيعة ومشاهد الحياة الا اتى عليه قريضه بالتصوير والتلوين بل لم يقتصر على تصوير ما اخذت عيناه ولمست يداه فقد تعداه الى الكشف عن بوارق الفكر ووجوه الرأي بصور مخضوبة ملونة ، حتى تخيل للغناء اصباغا وللتناغيم الوانا ، ولعله كان سباقا بهذا الى اوصاف اللحون في ايامنا وهي المسماة بالموسيقا الملونة

فما اعجب سحر الالوان واعمق سرها ! فيها تتكشف منازع العقول والاهواء ، ويظهر اتجاه الاخلاق والاذواق ، واذا قيل ادب المعري عبوس حالك فلان هذا الفيلسوف بسط على شعره ونثره جناحا اسود فقد ذم فيهما الزمان وطبيعة الانسان وكره النساء وآثر المحبسين ، وقد يكون لعماه صلة في فلسفته وشعره لولا ان آخرين من انداده المكافيف كانوا متفائلين مستبشرين ، لم تنطبع آثارهم بطابع السواد ولم تلبس لباس الحداد ، من هؤلاء بشار بن برد الذي خلعت الحياة على شعره ابرادها البيض ، وفي عصرنا ينشر الدكتور طه حسين ادباً مشرق الفن ازهر اللون عليه مباسم الامل والحياة ، وفي العمي كثيرون لا اثر للتشاؤم في دنياهم واكثرهم من الموسيقيين الموهوبين ومن حفظة القرآن الكريم ، فان اشراقة الهية علوية اطلت على نفوسهم فشرحت صدورهم وانارت بصائرهم بالآيات البينات . وما اوسع منادح الكلام على الالوان اذ انها لم تترك شيئاً الا نضحت به ونمت عليه حتى البشر ولدت معهم وتظاهرت عليهم فكان منهم السود والبيض والحمر والصفر ، وكان لتلاوينهم حظوظ فضلت بعضهم على بعض فلاحت الانوف القويمة والوسامة السابية والشعور المسترسلة بالجسوم البضة الناصعة وماجت الملامح الجاذبة الخالبة بالطلعة السمراء والسحنة الناعمة ونبتت الانوف الفطس والشفاه الغلاظ والشعر الجعد بالوجوه السود ، وجار اللون فاستبد ، اذ وقف الاسود في خدمة الابيض ، وضاقت صدور المرضى والحزانى بالليالي الدامسة فلما اسفر الصبح تنفسوا الصعداء ، فرحين ببياض النهار وآثر غيرهم لون الظلام فستروا به شخوصهم واخفوا زوراتهم وكتموا اخلاقهم .

وطوف ادب الالوان ارجاء الارض فوزع مباسمه وظلاله على الغبراء والدأماء . فكانت الصحراء صفراء ، وقيل البحر الابيض والبحر الاسود والبحر الاحمر ، وما البحار الثلاث الا خضر عند الشطوط وزرق في وسط اليم وبيض لدى الآفاق ، وقانية وهاجة حين تستحم الشمس قبيل الغروب ، واينعت الثمار فتهدلت بها الغصون وشبه ادب الالوان مفاتن النساء بافانين الفاكهة فاي شيء يذكر امامنا ولا نتصور لونه ؟ فاللون لزام للفكرة وعون على التخيل ووسيلة الى البيان ، وجاءت المجازات والرموز في الكلمات والعبارات ومنها ما اخرج مخرج الامثال . فكانت المحبة لون العاطفة والحنان لون الامومة والنقاء لون الطهارة ، وكان التشاؤم كالحاً كامداً ، والحسد اصفر وارساً ، والبغضاء والحقد والعداوة غرابيب سوداً ، والثأر والنقمة والعذاب تهاويل حمراء ، وهام الابطال باللون الاحمر فكانت الحرية حمراء مضرجة بالدماء ، وغالى العرب في عطاياهم فجاد الخيرون بحمر النعم ، ونصبوا في مواسم الشعر رواق الاريحية والكرم ، وضربوا القبة الحمراء فوق النابغة الذبياني حاكم عكاظ ، وداعب النبي عليه السلام زوجه عائشة وهو يقدرها قدرها فقال : خذوا نصف دينكم عن هذه الحميراء ، وسمى العرب في الاندلس اروع قصورهم بالحمراء والزهراء ، وقد شغف اصحاب الصناعة من الشعراء بادب الالوان واخذوا بسحرها فكان منهم ابو تمام والبحتري وابن الرومي والمعري ، وصبغوا نسيج قصائدهم بالوان الطبيعة وزخرفوها بوشي العقول

وفي الربيع مولد الالوان ، تنشر الطبيعة على بشائره اعلامها في الارض فتكون طلائع البعث والنشور للحياة ومجالا لنزهة الناس وقرائح الملهمين ، والالوان على صمتها وسكونها فصيحة مترجمة بل ان ابلغ الشعراء وابرع الكاتبين لا يستطيع ان يصف وردة باروع مما تصف به الوردة نفسها ، ولئن احصيت معجزات الخالق كانت الالوان في العنوان ، فكم حار في مزجها المصورون اذ ان عددها لا يحصى وكل لون اذا ضرب بآخر كان منه صباغ جديد ، ولقد سل سيف الالوان على وجه السماء فكان كدائرة انتصب احد طرفيها في الارض وغاب الطرف الاخر في تضاعيف الاجواء ، اما الوان هذا السيف الالهي العجيب فسبع في قوس قزح ، كان علماء الطبيعة في عجب منها حتى عرفوها ونصبوها على قرص ثم اداروه عجلان ، فبدا ابيض ناصعاً كشف لهم عن سر الالوان ، فاذا الابيض مبدؤها ومنتهاها ومنه مولدها وتعدادها ، فسبح ايها الانسان باسم ربك الذي خلق الاكوان وصبغها بالالوان

وداد سكاكيني — دمشق

قالت جدتي

بقلم احمد راسم

•

واردفت جدتي تقول :

هل لاحظت صديقة امك كيف كانت تنظر الي ؟

كما لو كنت اريد التهام ثوبها الجديد ! ولكن ، ماهمني .

اذا رُشقت بحجر فارشق برغيف .

عندما يشيخ الاسد يصبح سخرة الكلاب .

جاء هذا الصباح،وفي ساعده سلة، خادم «دده العادل» الصغير

احب هذا الصبي ، لانه يشبه شبها غريبا احدى نساء جدك ، تلك التي تمقتني .

كنا عشرا

وكنت الصغرى بينهن . اكان من العمر سبع عشرة ربيعا يومذاك ؟

كانت تعزو الي كل مشكل، لانني كنت جميلة ، وحاولت اكثر من مرة صم اذني بارسالها صرخات زاعقة .

وكنت امسك عن الرد عليها لانها كانت مثل امي .

ابنتها ، احسان هانم اكبر سناً مني .

عيناها سماويتان : زمردتان ، حبتا عنب .

كنا ، يا بني ، عشر نساء .

وكل خميس كان الباشا يقضي سهرته معنا بالضحك . كان فرح المزاج . كنا نعبده جميعاً لانه كان حليما وعادلا وقويا .

كنت اتغيب كل خميس مساء ، كي لا اعكر جوّ النسوة الاخريات ، متظاهرة بالم الرأس .

وكنت لا اشاهد الباشا الا ليلتي ٧ و٢٢ من كل شهر .

بينا كنت اخيط على آلة اشتراها لي خصيصاً من اوروبا ، جاء من يقول لي :

« هانم افندي ، ان الباشا يدعوك . »

وكان جدك حينذاك يداعب الاخريات .

فبعد ان نظر برهة الى ثوبي الازرق ، سألني باسماً :

« احقيقة يا رنجيغول، انك تكحلين عينيك وتخضبين شفتيك بالاحمر ، وتطلين عنقك بالابيض ؟ »

فسألته جواباً :

« الم تشتر لي انت المساحيق كما فعلت من اجل اخواتي ؟ »

وبينا كانت الاخريات يضحكن بالسرّ ، قال الباشا :

« ولكني اكيد من انك لا تستعملين المساحيق . »

وحينئذ

استل من جيبه منديلا من الحرير الازرق ومنديـلا من الحرير الابيض وغمس اطرافها بكأس مـاء ، ومسح عنقي ومسح شفتي وعينيّ .

ثم أدار طرفه نحو الاخريات سائلا :

« اين الابيض ؟ اين الاحمر ؟ والاسود اين ؟ »

ولبث جميعاً صامتات . امـا هو فاجتذبني اليه ، ونظر الى الاخريات ، وطبع قبلة طويلة على عنقي وقبلة طويلة على شفتي وعيني .

وكانت وجوه المسكينـات البائسات ممتقعة كاثواب باهتة .

وكان بودي ان استميحهن عذراً

وفيما كنت اهم بالخروج ، هتف الباشا بالعبدة طنسوف :

« ان احملي الماء الى مخدع رنجيغول . »

والمسكينات البائسات ،

كنّ اشد حنقاً من الشاطر احمد عندما حطم ساقه اذ سقط في الكمين الذي نصبه للاميرة الصبية .

ويلاه ، كنّ اشدّ اصفراراً من الزعفران .

وارم بالرغيف من يرشقك بحجر

لان من يعمل قدر ذرة من الخير يجده

وسأقص عليك ، مساء ما ، حكاية الاميرة نظلة

احمد راسم — السويس

Et Grand Mère dit encore: Poème de Ahmad Rassim

ترجمة غ . ر .

جارة صديقي !

بقلم سامي الكيالي
صاحب مجلة الحديث بحلب

اخذ صديقي ، وهو موسيقار ، يحدثني عن جـارته التي تثير اعصابه ، وتقطع عليه ، بصياحها المتواصل ، نشوة تلحين معزوفاته :

قال : انها امرأة جميلة ، غريبة الطباع ، حادة المزاج ، طيبة القلب ، تثور فتغضب ثم تهدأ فترضى ، قـد احنّ اليها فاتأملها كثيراً ، وقد انفر منها فالوي وجهي عنها .

وهي في جـدال دائم مع زوجهـا ، امرأة تختلف عن سائر النساء . . قد اهملت المرأة رغم ملاحتها ، واهملت نفسهـا او كادت ، لا تعنى الا بنظام بيتها ونظافته . وقد يجرها هـذا المرض ان تكون في حرب مع جميع من في البيت ، فهي تصرخ في وجه زوجها اذا وضع قبعته على الديوان لا على المشجب ، ونثر جرائده على مائدة الطعام لا على المكتب ، وتقاتل اولادها الذين يسيرون سيرة والدهم في الفوضى والاضطراب . وتنفجر كالبركان اذا اهملت الخادم امراً من الامور ، ويا ويل هذه الخادمة الصغيرة اذا كسرت آنيةً من اواني البيت او فنجاناً من فناجين الشاي فهنا الطامة الكبرى ، وعلى الصغيرة ان تؤدي البدل ، واي بدل يوازي ثمن الفنجان غير ضربة مميتة ، فلتنقض عليها كما ينقض الباشق على العصفور ، ولتحطم العصا على رأسها ، ولتدق بها اضلاعها — هذا هو الثمن البسيط الذي يجب ان تتحمله الصغيرة كل يوم مرتين او ثلاث او اربع وقد تصل الى العشر مرات ! .

ويزداد الصراخ وتزداد الشكوى كلما اهمل زوجها امراً او تراخى في جلب حاجة اوصت عليها ، وقد يكون معذوراً — ونحن في حرب — فلا تقبل العذر ، فهي معه في نضال مستمر وشكوى من الحياة غير منقطعة ، وهي الى هـذا في حرب عنيفة مع نفسها ، فكيف لا تثيرها شعواء مع غيرها . . وشكواهـا من الحياة لا حد له . ويا ويل الرجل من المرأة الثرثارة ، النزقة ، الضيقة التي تنظر الى الدنيا بمنظار اسود . . ومع ان الزمن يقرض صباهـا ويحيل جمالها الفاتن الى شحوب فهي تفعل في نفسها اكثر مما يفعله الزمن بها ، وكلما وقفت امام المرآة ورأت شحوب وجهها وهزال بدنها حملت زوجها المسكين أثر ذلك ! . .

قال صديقي بعد ان ارسل انةً طويلة :

يا لهذه الجارة المنكودة الحظ ! . . ان الحياة قد انقلبت في نظرها جحيماً مشتعلاً . . أأشفق عليها ، ام على زوجها ، ام ارثي نفسي من هذه الحيرة الضيزى ! . .

آه . . كلما جلست لاكتب — وصديقي الموسيقار شاعر ايضاً — دوى في غرفتي صوت جارتي .

انني احسد الكتاب الذين يكتبون في عالم الصمت والهدوء . . او على نغمات من مقطوعات بتهوفن . . اما انا فما اشقاني ! ! ويا لشقاء البيت الذي تدير شؤونه امرأة ضيقة الصدر ، تقيس الامور على مقاييس تفكيرها الضيق ، فاذا انحرف شيء طفيف مما رسمته فهنا الويل والثبور وعظائم الامور . .

وبعد . . اخيال ما اقصه عليك ام حقيقة . . اتشكو ايها القارئ الكريم مما يشكوه جاري . اتنعم بالسعادة الزوجية التي يكتب عنها الفلاسفة والمثاليون ؟ اين المرأة التي تحيل البيت نعيماً ؟ المرأة التي تجنب الرجل ويلات الحرب ، ولا تشعل في جوانبه ناراً ذات ضرام ! المرأة التي تطمئن رغبات زوجها وتحنو على اولادها ويتسع صدرها لنزوات الجميع ! . .

هذه شكواك وشكواي وشكوى كل انسان . .

او نطلب المستحيل حين نريد الحياة خيراً صرفاً . . الحياة مزيج من الخير والشر . ولكن ما قولك اذا علمت انه اعتاد هذه الحياة على ما فيها من ثقل تثير اعصاب امثالنا . . قلت له وكيف ؟ قال اسمع : ما رايت جاري متظلماً قط ، وما سألته عن حاله مرة الا قص علي تلك القصة التي ترويها الكتب القديمة . .

قلت : ما هي ؟

قال : « يحكى ان قوماً دخلوا على يونس — عليه السلام — فاضافهم ، وكان يدخل ويخرج الى منزله فتؤذيه امرأته ، وتستطيل عليه ، وهو صابر على الاذى ، صامت لا يصيح ولا يشكو ، فتعجبوا من ذلك ، وتهيبوا ان يسألوه ، فقال : لا تعجبوا من هذا فاني سألت الله يوماً فقلت : يا ربّ ! ما كنت معاقبي بـه في الآخرة . فجعله في الدنيا . فقال : عقوبتك بنت فـلان ، تزوّج بها ، فتزوجت بها ، وانا صابر على ما ترون » ! . .

وتابع صديقي طريقه دون ان يزيد شيئاً ، ولم اشأ ان اثير عصبيته او انكأ جراحه ، ورجعت الى مكتبي اكتب هـذه الكلمة هدية الى كل زوج وان كنت ، ولله الحمد ، لا اشكو مما يشكوه صديقي ، ولا اقاسي ما يقاسيه الكثيرون من الازواج.

على شاطئ صيـــــــــدا

لعلي محمد شلق



بالاساطير اجها الموج رفقاً   بلهاث القلوع في « صيدون »
تعب الشط من حديث الاواذي   فدوى بصمته المجنون
غير حلم طفل الجناحين مقناج   على ريشه ابتهال الحنين
خفقت حوله الطراوات في الفجر   وفي الامسيات رقة لين
وحنت حوله الدهور اسيفات   على عالم من التمدين

بالاساطير اجها الموج رفقاً   . . . . .
بذهول الشعاع في الشفق الباكي   وموت الالوان عبر القرون
بصدى عشتروت رف على التاريخ   ظلا مفوفاً باللحون
فالصبيحات بعد مأتم اللحن   وصمت معفره بالشجون

سجدت عندها الالوهات فاختالت   بزهو الصبا ولين المجون
اتلع الزهر كل جيد لمسراها   وبحت حناجر في الوكون
سبحت في صلاتها الانحر البيض   وذابت غدرانها في الرنين
سقسقات رنت اليها الفراديس   فألقت ثناءها للعيون
وهفت في اراجح النسمات البكر   حور تلفعت بالغصون
فالظلال السكرى تلم حديثاً   من شفاه المنثور والنسرين

بالاساطير اجها الموج رفقاً   . . . . .
خلف طياتك الغضاب اختلاج   لشراع داخ وهزج سفين
فالشواطي طروسك الشهب مما   هزت شمال وشع وحي يمين
وسطور الخلود سمراء ، لم تجنح   الى غيرها من التلوين

قف تمهل ، نفض ختم كتاب   لم في دفتيه سر الفنون
موهت وجه « يونيا » و« اثينا »   وحبتها من سرها المكنون
ذكريات تمر بي فوجوه الدهر   ماجت بجانبي تشجيني

انا ابن اللهو العتيق تمادى   في تراث يخضر رغم السنين
يحذفني هدأة من الحلم الاسنى   رخي على العباب الامين
جمرة الطيب في خرافاتي العذراء   وحي لكل سفر مبين
انا اسطورة تعيش على الماضي   غريب الرؤى غريب الظنون

انا آمنت بالتعاويذ والسحر   واخلدت للرؤى في شؤوني
انا عار لبست وهج اماني الطفالى   في ظل وهم حنون
تحتمي تحت ريشي الشمس او تسبح   في قطرتي وعمق يقيني
انما الله خلف اسطورتي البكر   مطل بوجهه في عيوني
هاك بحراً من الشعاع تماديت   عليه بزورق من لحون
صغته من صدى لهاث العذارى   وابتهال الصبا ورف الجفون



البيت اليوم في حركة دائمة . واهله يروحون ويجيئون بنشاط باد . وامي منهمكة باعداد الطعام ، منصرفة عن كل ما حولها ، في جوّ من الدخان ، ينعقد في المطبخ ، بجوار موقد الحطب ، كأنّ هناك حريق اندلع لهيبه فراحت هي تذكيه بين الحين والحين ، تدمع عيناها ، ويتخلل الدخان والرماد شعرها المسترسل وثيابها الفضفاضة . واختي الكبيرة تجمع في الطست ادوات الاستحمام ، بنظام معين : في اسفله (الجنطاس) الاصفر ، ثم المشط العاجي ، فالصابون الطرابلسي ، والترابة الحلبية ، ويعلو الكل مآزر حمراء مرقطة كأنها جلد نمر اغبر .

فالعيلة على قدم الاستعداد للذهاب الى الحمام ، بعيد الظهر . وامي التي يتوجب عليها « تغسيل » تسعة اولاد ، بينهم اربع بنات ترغب في الوصول الى الحمام باكرا ، لتتمكن من العودة الى المنزل قبل حلول الليل — وان كانت جدتي وعماتي وخالاتي سيساعدنها في مهمتها الشاقة ، بقدر ما تسمح لهن ظروفهن .

وتنتشر في البيت رائحة (المجـدرة) ، وتصل الى الانوف تدغدغها ، فتسيل الافواه شهوة وتلذذا بهذا الطعام الذي لا نذوقه في المنزل الا « يوم الحمام » فالعدس زادنا في نزهاتنا الى البستان او شاطىء البحر امام « الاربعينية » ، وهو طعامنا المفضل في تلك المناسبات ، « والصحن » الذي لا يحمّل الموازنـة البيتية نفقات استثنائية ، تنوء تحت ثقلها ، وويلات الحرب الكونية في تفاقم مستمر :

وتعلن رائحة البصل المقلي في السمن الحموي نضج الطبخة : فنتراكض الى غرفة المائدة افواجا افواجا ، حول الطاولة المستديرة ، على مقاعدها المحدودة . فاخوتي يفضلون هذه المائدة على سواها من الموائد المستطيله التي تبسط في زوايا الغرفة ، لان الصحون عليها اقرب تناولا ولانها المائدة التي يصل اليها الطعام قبل سواها . . .

وكان خلاف بين بعض اخوتي واولاد عمتي استطاعت مربيتنا ان تحله بشكل يرضي الطرفين . فجعلت هـدى — اختي الطفلة المحبوبة من الجميع بين الخصمين ، همزة وصل ، ووساطة تفاهم . واجلست امين ، ابن عمتي الظريف عن يمين اخي الذي اثار هـذه المشكلة في وقت كان البيت احوج مـا يكون فيه الى كسب الوقت والانتهاء من وقعة الغداء في اسرع ما يمكن .

والواقع اننا تغدينا ، في ذلك اليوم ، قبل اذان الظهر ، بساعة او تزيد . فالحمام يستقبل النساء والاسر بعد الظهر مباشرة ، شرط ان ينتهوا قبل صلاة العشاء ، على ابعد حدّ . فالليل للرجـال ، وكذلك الصباح والضحى حتى منتصف النهار .

وقد بلغ السرور من جماعة الصغار الذين ملأوا غرفة (الموائد) بضجيجهم الصاخب وضحكاتهم الرنانة ، حداً حمل امين معه احد (الجاطات) ، وقد فرغت كلها ، على رأسه ، واخذ يرقص به على وقع الملاعق ، تضرب ، على الخشب والصحون ، انغاماً موزونة من جديد . مما دعا مربيتنا للمسارعة الى املاء تلك الاواني من جديد بالطعام الشهي وهي تضطرب خشية من تكسرها بين ايـدي هؤلاء العفاريت .

وقد لاحظت ان ذلك السرور قد سرى الى كل من في المنزل ، حتى جدتي لامي ، في حزنها الابدي على وحيدها الذي مـات قبل ان يولد انساناً سوياً .

الا ابو حسين – هذا الخادم الذي اتحفنا به عمي ، مدير احدى النواحي ، منذ اسابيع ، بداعي فقر ذويه وحاجتهم الى المعونة – فانه كئيب يكاد الدمع ينفجر في عينيه الما – وهو الذي عودنا في الايام الاخيرة ، بعد فترة الوحشة الاولى ، ان يكون (مضحكنا) الاول ، ومحدثنا الذي لا ينقطع سيل ثرثرته :

فقلت له بلهجته الجبلية :

– « ولك يا بوحسين . ليشك غظبان . »

فيحتج صاخباً ، ككل مرة ، على تكنيتي اياه ، ويتمتم محنقاً :

– « ما بردّش ... انا اسمي حسن . »

فاقول انا بدوري ، والجماعة من حولي في اوج مرحهم الصبياني :

– « الحسن اخو الحسين ... مش هيكي . »

فيفتح حسن فمه (غير المحدود) حتى اذنيه ويبدأ جملته التقليدية ، متلعثماً :

– « قلت لك هنحنية الف مرة وشوية ، الحسن مش ابو الحسين . » فابادره بقولي :

– « يا بو حسين ... انت بسين .. يا بو حسين . »

ويرقص اخوتي على النغم الموقع ، ويبكي المسكين الا انني اردت هذه المرة ان اغسل جرح حسن بلطف ما تعوده من هؤلاء الاشرار الذين يحيطون به ، ولا يدعون فرصة تمر الا اساؤا اليه فيها دون ذنب اقترفه سوى هذه اللهجة التي تستهجنها ، وهذه الاشعار التي يتغنى بها ممطوطة ، فعل (النوادب) النائحات .

فقمت اليه ، وقد بلغ آخر لقمة في صحنه مع كثير من دموعه ، وقلت له :

– « يا حسن . شوف انا بحبك . بس لا تقول (ابو حسين) بدلا من (اخو حسين) ... ولا (تتدندح) بالاشعار . »

فيعدني حسن واعده بحمايته و (كسر رأس) كل من يتجرأ على الهزء منه والسخرية به .

غير ان ذلك لم يجلب شيئاً من السرور والمرح ، فيما تبقى من النهار ، الى نفس هذا الناشئ الذي كان في مثل سني تقريباً . فجئت اليه في الحمام ، بين (موقعتين) من مواقع غسل رأسي في احضان جدتي ، اسأله مرة ثانية عما به وعما يسبب له هذا الانقباض الذي لم نعهده فيه . فاسرّ في اذني ، بعد محاولات ومداورات ، قوله ، وهو يشرق بدمعه ، ويمسح انفه بظاهر يده :

– « ... مش مجدرة بلدنا . »

فقد اخطأت امي فيما يبدو هذه المرة ايضا وهي تحاول ان تصنع له تلك (الاكلة) التي يفتقدها بشوق واصرار . فلم تهتد الى نوع (المجدرة) المرغوب فيه .

وقد سبق ان طبخت له جميع انواعها ، المعروفة . من (المخبوصة) بالعدس حبوباً كاملة الى (المجروشة) و (الممروتة) و (المدردرة) ... وحسن يردد لها في كل مرة :

– « مش مجدرة بلدنا . »

فزادت امي كمية البصل المقلي بالسمن تارة وبالسمن والزيت تارة اخرى ، وجعلت منه على صحن حسن نصف ما اعدته للمجموع من هذا (التابل) الذي تبعث الشاهية رائحته قبل طعمه ، ثم جربت مرة ثانية ان تبقى البصل في الطعام نفسه فينضج معه . وحسن لا يستسيغ مطلقاً اي لون من تلك الالوان .

وكثرت التجارب ، وغمرتنا صحون (العدس) حتى كدنا نفقد اللذة به ، ونتجنب السؤال عن مواعيد الترهات ، بل ان عناد حسن في شهوته الغريبة واصرار امي على قضاء تلك الشهوة في نفس هذا اليتيم المعوز ، قد اعادا علاقاتنا به الى سابق توترها . فرحنا نتزل به شتى انواع الاضطهاد ، يشجعنا سائر الخدم ، ويجرؤنا سكوت المسكين وصبره العجيب .

ومضت الايام بل الشهور ، طويلة مملة فاجعة . فالحرب لا تنتهي ، وجشع المحتكرين لا يقف عند حد ، حتى بيع رطل السكر بليرة ذهباً او رطل الرز المصري بمثل هذا المبلغ الباهظ . فحرمنا كثيرا من المآكل اللذيذة ، وخاصة الحلويات (البيتية) وان استعاضت امي بالعسل والدبس عن السكر المفقود وبالبرغل والرز الحوراني عن الرز الرشيدي الذي انقطع مورده .

ولكننا مع ذلك ، حمدنا الله الف مرة لاننا تخلصنا من المجدرة ... الى الابد .

في هذه الاثناء ، اصيبت الاسرة بسلسلة من الاحزان ، كانت امي تخفف من وقعها في نفوسنا الرخصة باكاذيب بريئة تحجب بها عنا الحقيقة المؤلمة فتجيبنا اذ نسألها عن جدتنا التي مضى زمن طويل على انقطاعها عن زيارتنا ، والاقامة بيننا ، اياماً من حين الى آخر :

– « ذهبت الى الحج يا ابني . »

او تقول ، ونحن نتساءل عن عمي الكبير الذي عدناه في مرضه ، وشاهدناه آخر مرة منذ شهرين – « سافر الى استامبول يا ابني . »

فنسكت حائرين لدمعة تترقرق في عيني (الماما) او حرقة تشرق بها ، لا تطمئن قلوبنا لتلك (السفرات) تغيّب كثيرا ممن نحب او نعرف .

فبعد جدتي لامي خالتي الكبيرة، ثم الثانية. وبعدهن عمي الكبير ثم ابنته الصبية الحسناء، ثم زوج احدى عماتي، فجارنا الحاج. ويتبع هؤلاء واولئك عشرات ومئات كانوا (يسافرون) تارة الى الحج وطورا الى غير هذه الامكنة المقدسة السحيقة... فلا يرجعون ايضاً. الا اننا كنا نتمنى في قرارة نفوسنا ان تتكاثر تلك الاسفار... تخلصاً من النزهات... ومن ذلك الطعام البغيض.

وجاء يوم سألت فيه عمي المدير، وقد اجتمعنا عنده في القرية، يوم هربنا من المدينة، عن تلك الاسفار التي لا عودة منها. فيتضاحك، وهو يمجّ دخان نارجيلته ويتلمظ بفضلات طعام بين اسنانه الصفراء: — «ماتوا يا عمو. ما شفت ابو حسن.»

والواقع ان ابا حسن المسكين كان قد (سافر) بدوره ورأينا بعض رجال القرية يحملونه على الاعناق في شبه سرير خشبي، ليلقوه في حفرة قرب البيادر ثم يطمرونه بالاحجار والتراب. ولكننا لم نعلم ان ذلك هو الموت، لان مربيتنا قالت لنا:

— «جاع ابو حسن كثير ومرض... (فزرعوه) في الارض. وسيفرّخ.»

وقد املنا حقاً، كما امل حسن نفسه، ان ينبت ابوه (رجلاً من ذهب)، كاسناننا التي نخلعها ونلقيها في التراب قائلين:

يا شميسة يا دميسة. اعطيتك سن الخشب اعطيني سن الذهب».

وما ان اسمع حسن ان اباه قد (مات) حتى انفجر في ثورة من بكاء، ونحيب دامت ثلاثة ايام لم ينفك فيها عن لطم صدره ورأسه كلما صحا، وتمزيق ثيابه وتعفير وجهه نادباً مولولاً، باصرار وعناد فارتأت امي، بعد ان اعيتها تعزية هذا (النادب) الماهر، ان تضع حدا لهذه (المناحة) التي دامت في منزلنا — بعد ثلاثة اشهر من وفاة الفقيد — اكثر مما ينبغي، وفوق ما تتحمله الاعصاب، ويتسع له تفاؤل النفوس.

•

وقد عدت مع عمي عند الظهر، فاستقبلتني — على مسافة من البيت — رائحة تفوح من جوانبه ونغم تردده جنبات المنزل، وسط ضوضاء مرحة، وضحكات صاخبة، وتصفيق وهتاف. واذا بحسن يطل علينا حاملاً على رأسه (جاطاً) من الفخار، وهو يرقص مردداً اللحن... السعيد: — «مجدرة بلدنا!... مجدرة بلدنا.»

فحمدت الله... على هذه المصيبة... الاخيرة واكلت (المجدرة بالبرغل والزيت) بشاهية غريبة.

رشاد المغربي دارغوث

الى القراء

•

— لا يقبل الاشتراك الا عن سنة كاملة بدوؤها من شهر كانون الثاني (يناير).

— تدفع قيمة الاشتراك مقدماً.

— قيمة الاشتراك:

في سوريا ولبنان: ٩ ليرات لبنانية. ولا تقبل الاشتراكات لهذه السنة الا من الاماكن التي لا تباع فيها المجلة.

في الخارج:

جنيه مصري واحد. ولصاحب الاشتراك في الخارج الحق في الحصول على منشورات الاديب التي تصدر خلال السنة.

— الادارة غير مسؤولة عن اعداد المشتركين التي تفقد في البريد.

— احتفظت الادارة ببعض اجزاء السنة الاولى (ما عدا الجزأين الاول والثاني) فمن شاء من هذه الاجزاء فليطلبها من الادارة وثمن الجزء ليرة واحدة

— الادارة مستعدة لشراء اي جزء من اجزاء السنة الثانية بـ ٥٠ غرشاً لبنانياً، اذا كانت بحالة جيدة، وكذلك تدفع ليرتين لبنانيتين ثمن كل من الجزء الاول والثاني من السنة الاولى. والثاني والثالث من السنة الثانية.

— المقالات التي ترسل الى الاديب، لا ترد الى اصحابها سواء نشرت ام لم تنشر.

— توجه جميع المراسلات الى العنوان التالي:

مجلة الاديب — صندوق البريد رقم ٨٧٨ بيروت — لبنان

الادارة

الـــورق النقـــدي

بقلم امين الغريب

●

الورق النقدي – اكثره الله بين ايديكم . ورفع شأنه في السوق – هو اليوم ، وكل يوم ، شغل العالم الشاغل . وحديثه المتواصل . وقلما تشرق شمس وتغيب ، دون ان تمر ورقة منه على الاقل ، بين اصابع كل يد بشرية ما خلا الاطفال . ولئن يكن حاملاً على الغالب اقل من قيمته الاسمية نقودا ، فهو يحمل بدون شك اكثر منها بمراحل ، جراثيم وميكروبات . ولاسيما في البلدان التي لا تعتني بتطهيره المتواصل كما تفعل الدول الراقية .

يتهم الاكثرون الحرب العالمية الاخيرة التي نشبت عام ١٩١٤ باختراع الورق النقدي . لكنها في الواقع لم تخلقه . ولم تكن سبب وجوده . كلا . بل اكثرته وغمرت به الاسواق العالمية . وقللت بالتالي قيمته الحقيقية . لان اصل الورق مبني على ان يقوم في المعاملات مقام الذهب والفضة . وما كانت الحكومات قبل تلك الحرب تطبع ورقة نقدية ما لم يكن لديها ذهب يعادل القيمة المكتوبة عليها موضوع تحت امر حاملها . اجل ان كل دولة اصدرت ورقاً نقدياً اصيبت احياناً بنقص في قيمته لانها اصدرت منه اكثر من الذهب الذي لديها . واستندت الى ما ترجو تحصيله منه في الحين القريب فخانها الحظ . وكانت نتيجة ذلك سقوط ورقها . ومع هذا نرى الناس اجمالا يفضلون الورق في المعاملات اليومية على الذهب والفضة لانه ، اسهل تداولا منها .

اما تاريخ الورق النقدي الحديث فيرجع الى القرن السابع عشر . اوجده رجلان من اسكتلندا . احدهما وليم باترسون الذي اشتغل في انكلترا . والاخر جان لاو الذي اتخذ فرنسا ميداناً لاعماله . فوليم باترسون ولد سنة ١٦٥٤ وكان اول من فكر في تأسيس « مصرف انكلترا » الذي لا يزال منذ مئتين وخمسين عاماً تماماً في طليعة دوائر العالم العالمية . وانشأ باترسون مشروعات تجارية عظيمة فشلت كلها وساقته الى اليأس فمات مجنوناً في سن الخامسة والستين . واما جان لاو فولد بعد باترسون بثلاثة عشر عاماً . ولم يعمل واياه . بل ذهب الى باريس وانشأ مصرفاً كان نجاحه سريعاً . ولما مات الملك لويس الرابع عشر كان ولي عهده طفلاً فاحتاج الوصي على العرش الدوق دورليان الى مال . ولجأ الى جان لاو . فسنحت لهذا الفرصة لتنفيذ فكرة الورق النقدي التي كانت منذ اعوام تجول في رأسه . وانشأ مصرفاً اهلياً اصدر الاوراق فاقبل الناس عليها اي اقبال . ولكن سرعان ما افلس المشروع وخسر الفرنسيون اموالا كثيرة ، فوجد جان لاو من الحكمة ان يغادر فرنسا سرا . وذهب الى البندقية في ايطاليا حيث قامر وخسر ومات في سن ٥٨ . هكذا نرى للبعض عذرا في التطير بالورق النقدي لانه كان شؤماً على الرجلين اللذين اخترعاه .

بعد ذلك اخذ الناس يبحثون الورق النقدي ويمحصون اسباب فشله وسقوطه ليتجنبوها عند انشاء ورق جديد . اي ان مرض حب الورق تأصل في شرايين الهيكل المالي وصارت اعراضه تظهر خصوصاً ايام الحروب اذ يحشد الافراد اموالهم في الصناديق تأهباً للاخطار المحتملة فتضطر الحكومات المحاربة الى تسيير دفة العمل بواسطة الورق .

اما كيف يصنع الورق النقدي فلكل حكومة اسلوب خاص تحفظ لنفسها سره . وقد اتفق لي ان كنت في مطلع هذا القرن في الولايات المتحدة ورأيت ما يمكن الغريب ان يرى من مصنع النقد في واشنطن . وهو بناء من اجمل الابنية في تلك العاصمة المشهورة بفخامة قصورها الرسمية . فهاانذا اصف ما رأيت وما علمت عما لم ار : يقسم العمل اجزاء على عمال المصنع المنفصلين بعضهم عن بعض فلا يعرف احد منهم مجموعه . وتؤخذ عليهم عهود قانونية وشرفية

بعدم افشاء شيء مما يعرفون . وبعد صنع الورق المعد للطبع يحفظ في مستودع خاص ريثما يحين موعد طبعه . فيؤخذ الى آلة ترطبه قليلاً حتى يصلح لقبول النقوش المعدة له . ثم يدخل الى قاعة كبيرة يشتغل عمالها في توزيع الحبر الخاص على قالب بعد اخر من القوالب العديدة التي تمر على الورق . وهي عملية شاقة كما ان تلقيم المطبعة يقتضي عناية كبرى . ولكل طباع معاونة من البنات . وهل تعلمون لماذا من البنات ؟ لكي تقوم اناملها النحيفة بالاعمال اللطيفة، التي تعجز عنها انامل الرجال الكثيفة .

كان في الدولار الاميركي ١٩ شكلاً . فكان يطبع وتنتقل على ١٩ قالباً حتى يصير دولارا . ويطبع العمال اولا قفا الاوراق . ثم ينقلونها الى محل التجفيف حيث تبقى ١٥ يوماً كي « تنضج » على ما يقولون . ثم تعاد الى المطابع ليجري مثل ذلك العمل على وجهها بعد ترطيبها . ثم تعاد الى محل التجفيف الاول حيث تبقى المدة المعينة فتنضج نضجا نهائيا . ويصير منظرها الجذاب يسبي العقول ويأخذ بمجامع القلوب .

وقد ذكرنا القوالب . فاقول ان لكل شكل من اشكال الورقة التسعة عشر قالباً خاصاً من الفولاذ المعلل كان في ذلك العهد يجلب من لندن . ولا تستعمل الحكومة القالب الاصلي للطبع بل نسخة عنه . والحكمة في ذلك ان الحكومة لا تريد الوقوع هي نفسها في خطر التزييف وتزييف النقود جرم عظيم في كل مكان . فالقالب المستعمل للطبع لا بد ان تضمحل نواتئه قليلاً او يعرض له ما يتلفه من بعض النواحي فيصير مستصعباً صنع غيره بشكل غير مختلف بتاتا عن الاصلي . واقل تغيير في شكل النقد يجعله غير النقد الصحيح . وبالتالي مزيفاً . اما النسخة المأخوذة عن القالب فاذا اضمحلت او تضررت هان صنع سواها بوجود الاصيل .

اما قاعة المطابع في واشنطن ففيها الف عامل يشتغلون ليل نهار متناوبين ٣ مرات اي كل فريق منهم يشتغل ٨ ساعات . وعندما يؤتى برزم الورق الفاً الفاً تعدّ، وكلما اخذها عامل اعطى بها وصلاً . وهذان العد والاشعار بالوصول يتتابعان الى النهاية . ولا يأخذ الطباع كل مرة الا الفاً معدودة . ويعيدها بعد الطبع معدودة . واضاعة ورقة واحدة تستوجب الطرد فورا من الخدمة مع التفتيش الدقيق المتلاحق من البوليس السري . ولا يطبع الطباع مع معاونته الفتاة الا خمسمئة في اليوم على جهة واحدة . ثم يرسلونها بمنتهى التحفظ الى غرفة الترقيم . فيوضع رقم كل ورقة عليها . وتعد المرة الاخيرة . وهي المرة الثلاثون . وتجمع في رزم من الف ورقة . وعند فقدان شيء منها او متعلق بها تقف الحركة ويمنع الخروج من تلك الدائرة حتى يظهر المفقود . ومما يستحق الذكر ان هذا التدقيق والتحفظ أراح بال الحكومة . فلم يسمع منذ اعوام كثيرة بسرقة او ضياع في مصانع الورق النقدي .

ويجري طبع الاوراق باستمرار في الدول الكبرى . فالحكومة الاميركية مثلاً تطبع مليون دولار كل يوم من فئات مختلفة تعويضاً عن مليون مثله يتلف بين الايدي . وعند فرز الاوراق توجد منها واحدة في المئة تعديلا غير صالحة من بعض الوجوه . فترسل الى حيث تغسل من الحبر وتطحن وتعجن وتحول الى « كرتون » للبيع . وفي البناية اضواء كهربائية خاصة تقل فيها الاشعة البنفسجية فلا تؤذي عيون العمال المحدقين الى الاوراق ليلا .

اما الاوراق الصالحة فتذر عليها بعض الادهان والمساحيق تبلورها وتحفظ الحبر من العوامل الخارجية وتطيل عمر الورقة بضع سنوات . ثم تؤخذ الى غرفة حارة لتجفيف هذا الدهن . ثم تصقل بامرارها بين ملاسات (محادل) كالتي تصقل الفولاذ فتخرج لامعة كالمرآة وتصير صالحة لتقبيل ايديكم .

ولما كانت الآلات الحديثة قد جعلت تقليد الالوان سهلا اجمعت الدول قاطبة على تدارك التزييف في الورق النقدي بوسيلة وحيدة تنحصر في الورق . فاميركا تدخل بين الياف دولاراتها خيوطاً حمراً وزرقاً بأساليب لا يمكن تقليدها الا باستخدام آلات ضخمة يستحيل اخفاؤها عن اعين الرقباء . لكن الحكومة الاميركية تطبع كل الفئات في اوراقها النقدية من حجم واحد . فقدرت أن المزيفين قد يأخذون ورقة الدولار فيغسلونها بمواد تمحو الحبر عنها ثم يطبعون عليها تقليد الخمسة او العشرة او الخمسين او المئة . فتلافت ذلك بجعل الورق لكل فئة مختلفاً عن سواه . مع رقم مخصوص يدخل في العلامة المائية الفارقة المبصومة بها كل ورقة . وهكذا يسهل اكتشاف التزييف ان كان فيها .

ولا ننسى خصوصاً ان في فروع الخزانات الحكومية والمصارف الكبرى في اميركا وانكلترا وفرنسا آلات مخصوصة لغسل الورق النقدي وتنظيفه وتطهيره كل يوم من الادران والمكروبات العالقة به من الايدي والجيوب ، واعادة رونقه الاصلي اليه . وعملية التنظيف هذه التي يشعر كل انسان بالحاجة الشديدة اليها تكلف الحكومة بعض المال . لكنها عملية واجبة حكيمة تنجي الاهالي من اخطار صحية جسيمة .

امين الغريب

التقدم والثقافة

بقلم نسيم بزبك

●

ان حق التقدم هو مشترك بين الناس من غير تمييز او تفريق اما نزعة التقدم فقد تكون منحصرة بفرد دون الاخر او بجماعة دون سواها لأن هـذه النزعة لا تقوم الا في الشعوب المتحضرة او الجديرة بالتحضر التي تتطلع الى المستقبل، فالبرابرة لا يدركون معنى التقدم لانهم لا يتطلعون الى المستقبل غارقون دائماً في عنعنات الماضي منهمكون دائماً بمشاكل الحاضر .

هناك ثلاث حلقات متماسكة في سلسلة واحدة التقدم والمدنية والثقافة بحيث يرى الناظر ان فكرة المدنية ترتبط بالتقدم وفكرة التقدم ترتبط بالثقافة .

وانما على نسبة هذا الارتباط ودرجة متانته تقف الدول موقف الحركة والتطور او موقف الجمود والتعثر وبعبارة اخرى ان عوامل الرقي والتحرر تقوى او تضعف في الامم والشعوب على نسبة مـا يظهر من توثق او تراخ في هذا الارتباط بين المدنية والثقافة . ومما لا ريب فيه ان نزعة التقدم تختلج في نفوس العرب عامة واللبنانيين خاصة وقـد اتخذت اشكالا مختلفة في دوائر حياتنا الفكرية والاجتماعية غير ان اصحاب الثقافة المنورة يحاذرون ان تبقى هذه النزعة في نطاق ضيق فلا تأتي بالنتائج المرجوة ما دامت غير مقترنة بثقافة تتميز باوصاف واهداف معينة في غـير الكلام المنمق بصيغ منمقة كتلك التي تجري في الاندية والمجالس وتـتردد في الصحف وعلى المنابر وتقع موقع السحر من نفوس الذين يخلطون بدون تمييز العلم بالثقافة والمتعلم بالمثقف .

ان لنا في هذه البلاد تراثاً ومدنية وثقافة تراثاً يحتاج الى تدعيم ومدنية تحتاج الى تمدين وثقافـة تفتقر الى تثقيف وتوجيه . واذا خرجنا بالثقافة من افقها التدريسي المألوف الى آفاق الحياة العامة نجد ان الثقافة تنطوي على معان ومهمات ترمي الى اهداف متصلة اوثق اتصال بمسائـل النهضات القومية والمشاكل الاقتصادية والاجتماعية . ويبدو للناظر ان اول هذه الاهداف ينحصر بالاصلاح والتجديد وعبادة الحرية .

فالثقافة التي لا تقترن بحب الحرية وتقدير الكرامة في مظاهرها الشخصية والقومية انما هي ثقافة مزيفة تخدم انانية الفرد والحيـاة الفردية غير مكترثة لانانية الجماعة ومقتضيات الحيـاة المشتركة .

ولئن كان الغرض من العلم كما يقول العلماء معرفـة الانسان نفسه ومعرفة المحيط الذي يعيش فيه فلا شك ان الثقافة تنطوي على المعنى ذاته بل ان التطورات الفكرية والسياسية قد وضعتها في نطاق اوسع ونقلتها الى حـدود اعم واشمل تتجاوز التفكير الفردي المقصور على التنقيب والاستقصاء الى صميم الحياة الاجتماعية بما يقوم فيها من قضايا وعلل ومشاكل تتجدد مع الايام وتتشعب في صور مختلفة . مما يستتبع القول ان للثقافة معنى اخر غير المعنى الذي الفته الاجيال السابقة وتألفه نحن اليوم لانها تستهدف غاية اخرى هي الغاية التي اجمع عليها اهل الفكر القديم وفريق من اهل الفكر الحديث ولا نزال نحن نتبع بعامل التقليد على الغالب خطوات السابقين واللاحقين في النظر والتفكير وكيفية توجيه قوانا الذهنية . وهكذا لم يكن لانتشار العلم فينا تأثير كبير في حـل المشاكل المسيطرة علينا .

هذا ومن الثابت ان الانقلابات السريعة التي نشأت على اثر

الحركات الصناعية والاقتصادية وما تبعها من عقائد سياسية واجتماعية قد فتحت ابواباً كانت مقفلة من قبل ووضعت على بساط البحث تحت انظار رجال الحكم والفكر جملة قضايا ومسائل دقيقة بحيث يستعصي حلها على الحكام اذا لم يتناولها اصحاب التفكير والثقافة بالنقد والتمحيص والمعالجة . وان هذه التطورات قد خرجت بالثقافة من دور الادب الخيالي والتفكير المجرد المستقل عن امور البيئة ومشاكلها الى ادوار التحليل في الحياة العامة والاستنتاج حتى اصبح هدف الثقافة الاتصال المباشر بالمجتمع لاصلاح ما فسد فيه وتقويم ما اعوج واقرار الحياة القومية على اسس ثابتة باختيار الاساليب المؤدية الى الاستقرار . وعلى هذا القياس لم يبق للثقافة من تعريف في نظر العلماء المجددين في هذا القرن العشرين سوى انها قوة ذهنية متجهة الى التقويم والاصلاح اتجاهاً جوهرياً متزايداً بحيث ان الكاتب او المفكر او الشاعر لا يكون كاتباً او مفكرا او شاعرا بالمعنى الصحيح اذا ظل متزوياً في برجه العاجي عن المحيط الذي ينتسب اليه مستسلماً للعقل الخيالي والتفكير المنفصل عن قضايا المجتمع ومعضلاته تفكيرا قد يغلق لصاحبه حيزا من الغبطة المادية او الروحانية فيكون مثله مثل الطبيب الذي يدرس الطب للاستزادة من المعرفة لا لمعالجة المرضى والقضاء على الجراثيم .

وانما الثقافة المثقفة تقضي على صاحبها ان يندمج اندماجاً نسبياً بمشاكل البيئة التي يعيش فيها وان يستخدم قوته الذهنية ومداركه كقوة محدثة مجددة ترمي الى تكميل الفرد وتكميل المجتمع وتدل على مواضع الخطأ ومواضع الصواب فيه ولا تتجاهل العلل والصعوبات والمفاسد بل تجابهها وتختار لكل منها العلاج الملائم .

وقد كانت الثقافة من قبل وقد تكون اليوم في نظر فريق ضئيل من اهل العلم عبارة عن قوة فكرية تغزو الجهل في جميع نواحيه وتبحث عن الحقيقة لتضع الخطط المؤدية الى الارتقاء والسعادة في اشكال مبادئ ونظريات ليس الا ، من غير ان تندمج اندماجا مباشرا بمشاكل النظم الاجتماعية والاقتصادية ومن غير ان ترسم صورا واشكالا فعلية تنعكس فيها حاجات المجموع وآماله وآلامه . ومع هذا كله نستطيع ان نخلص الى القول ان ثقافة الفرد او ثقافة الجماعة لا تكون صحيحة كاملة على الغالب الا اذا توافر فيها شرطان اساسيان هما حب الحرية والتضحية في سبيلها لان في الحرية تجتمع الكرامة الشخصية والكرامة القومية وعليها تقوم فكرة الاستقلال واليها تعود حركة السير في مدارج التقدم والخيال الاسمى .

وكذلك الاتجاه الى النهضة والتجديد والاصلاح فان اصحاب الثقافة الذين لا يتجهون هذا الاتجاه ولا يتقيدون بمعالجة الثقافة واهدافها الحديثة يكونون في الواقع غارقين في الانانية يسخرون العلم لخدمة الشهوات الخاصة . سبق القول ان فكرة التقدم والمدنية والثقافة هي حلقات متماسكة في سلسلة واحدة ونتمنى ان ينفسح مجال التقدم امام اللبنانيين واسعاً لاسيما وانهم الذين حملوا مشاعل النهضة في الشرق العربي فانارو سبل هذه اليقظة القومية والاجتماعية التي رفعت قضية الشرق الاوسط بما فيه لبنان الى مراتب القضايا الدولية .

انني اربأ بنفسي ان اتساءل هل نحن مثقفون ونحن في بلد عاصمته بيروت تتمتع بجامعتين كبيرتين ولئن استطيع ان اقول بالصراحة ان ثقافتنا لم تتجه حتى الآن اتجاهاً كافياً الى الاصلاح والتجديد وان قوانا الذهنية لم تندمج بمشاكل مجتمعنا التي يبدو مضطرباً على اسسه ولم تنصرف انصرافا جديا لتدعيم هذه الاسس . الحق ان تسوية بعض مشاكلنا القومية والاجتماعية على الوجه الانسب انما هي محك لاظهار ما بنا من حيوية كاملة وثقافة صحيحة واستعداد للتقدم والاستقلال ان للدول والامم والشعوب عناوين مختلفة في دنياها الفكري والقومي ونحن نود ان تتمكن بلادنا بقوة الثقافة من ان تحمل العنوان الذي ينطبق على حقيقة امانيها حتى لا تظهر في اثواب مستعارة ولا يختلف الكتاب عن عنوانه .

نسيم بزبك

الانسان الهازل

بقلم زكي المحاسني

استاذ الادب العربي في تجهيز دمشق

•

لو كنت أقول « بالدرونية » ، لزعمت ان الانسان خلق هازلا . اذ كان جده الاعجم قد ميزه الخالق من سائر الحيوان ، بالهزل والمرح ، والضحك .

أفلسنا نراه اليوم ، مشغوفاً بالنزوان . لا يكاد يحتويه غصن ، حتى ينشب يديه او رجليه في غصن آخر ، او يلف ذنبه على عذق من الشجره ، ويتدلى وهو كاشر هازل .

ولو صح هذا الحلم العلمي ، الذي يزعم صاحبه انه كان فيه غير هازل ، لوجب ان يكون قد تصرم حين من الدهر على الانسان الحيوان ! كان فيه بين الهزل المحض ، والجد الجديد . ثم هو حين نفا الزمن عن بدنه الشعر الامعز ، وخلع عليه نضارة ابدان البشر ، دخل في جد من امره . وظل هزله يعاوده عند طربه وهناءته ، وتهكمه ومجانته . وقد تجافيت عن قبول هذا الرأي القائل ، حفاظاً على أصلي ، وقد كرم من آدم . فقلت بهزل الانسان منذ عرف الجد اليه السبيل . وصرت الى حيرة سفسطائية . فسألت نفسي ما الذي ولد قبل الآخر في الدهر ؟ اكان الهزل ثم اعقبه الجد ، ام جرى النقيض في شعور المرء منذ شعر .

وعدت الى آدم في الجنة ، فخيل الي انه كان وحواء يمرحان في ظلال النعيم ولهما احاسيس لا يعرفها البشر الهالكون . وقد طفق المخلوق يرى جاداً أو هازلاً ، مذ هبط على وجه البسيطة ، فاستراح بهزله الباسم ، من وعثاء الجد العابس ، وجعل يهزل في شؤونه وشجونه . هزل في الحب فافسد بالهزل خلجات القلوب ، وانشأ مصائب الضمائر ، وحرقات السرائر . فلكم عاشق هازل قتل بهزله المحبوب فكانت الهيته الافئدة التي اشقاها الجد ، وغرها بالحب اللعب .

وانفتح كتاب الانسان بصفحاته البيض ، فسودتها ايدي الهازلين . فنقضت بالهزل وعود مقطوعة بالجد على الذمة ، محزومة بالحزم على الارادة .

وانقسم الهزل في بوادر الطباع الى حلال وحرام ، فخاص الاول النفوس التي صانهـا العقل عن مزالج الزلل ، وكان هزلها لماماً واستجماماً . وخالط الثاني سجايا الماجنين واهل الضلال .

لكن ، منذا الذي فطر على الجد كله ، فما عرف لهواً ، ولا الم بلعب . احسبني لو دللت على واحد هذا شأنه ، لرأيته هازلاً وهو ضيق يفعة . كان مع لداته يمور في هزل ، ويموج في لعب ومرح . والحياة بستان ناضر قد انبسطت على جنباته البوادي القاحلة . وفي حال الدنيا سرور وحزن ، وضحك وبكاء . وفيها آلام وملذات . فينبغي ان يكون فيها الهزل وهو ضرورة محتومة للجد . والضد يظهر حسنه الضد . ولولا الدميم لما جمل الوسيم ، ولقد يكون هزل الانسان جفاء . فلا يغني . وقد يطرف فيضفي على الشعر والادب بالبهجة والتغني .

افلم تكن طرفة القدامى آثار الهزل في آدابهم . من بندار واوربيد وسوفوكل ولدت ملاعب الدنيا ، فكانت الناس سلوى . تسلمها موليير فطاف بها من عصره الى اليوم ، تمثل نوباتها في ملاعب الحياة ، ومسارح العقل ، ويرى النظارة من خلالها حقائق الجـد . صاح « هارباغون » وهو ممسك بيده اليمنى يده اليسرى ، حاسباً انه قد أمسك بسارقه في ظلمات داره :

– ادركوني ، انقذوني ، لقد قتلت لقد سرق مالي

فكان في صيحته جدّ البخلاء . وكان في شخصه مهزلة البخل ، التي ابـدعها ابو المسرح الفرنسي طرفةً لدنيا الادب ، وكأنها انفس آثاره الهزلية .

هكذا اصبح الهزل عند الانسان ادباً جديا ، ودرساً تسمع اليه الجماعات ، فيحزنها وهو يضحكها ، ويسليها وهو يؤبنها . فسلس به قياد النفوس الجامحة ، التي تقطب حواجبها المنصيحة ومال سواد البشر الى الهزل كل ميل ، وانحرفوا عن مشاكلة الجد ، فكانوا وهم لا يزالون ، يحفلون بالمضاحك والملاهي . ويعرضون عن اضدادها . حتى بات للهازلين اللاهين من الشهرة ما لم يحلم بـه اساطين العلم . فهل عرف كل الناس كلود بيرنار ولافوازيه والرازي والرئيس ابن سينا . لكنهم عرفوا جميعاً شارلي شابلن ذا التكشير . وامتلأت اسماعهم وعيونهم بلوريل النحيف وهاردي السمين .

ولم يكن الهزل في سجايا الانسان بمعزل عن الفلسفة . فقد كان إمام الهازلين من اهل الحصافة الحكيم اريستيب . وشدّ ما بعد الشقة بينه وبين معلمه سقراط . كان دأبه الضحك والمازحة وما عرفه احد جاداً . حتى قال له افلاطون :

— يا اريستيب ، من كان مثلك استوت عنده ثياب الصعاليك ، وخلع الملوك .

وكان ديوجين الزاهد اذا رآه ناداه : — أيها الكلب الملوكي

لقي اريستيب الهازل عنتاً ومرارة ، فكان يتحملها بالضحك . وحين بصق الملك ادونيس في وجهه اجاب بقهقهة ، رفدها بابتسامة ، فقيل له ما ذلك فأجاب :

— ان الصائد ليحتمل البلل والعذاب في سبيل اصطياد سمكة . فما بالي لا احتمل بصقة على خدي لاصطياد الحوت الكبير .

وقد حدا به هزله الى ما ينبغي للهازلين . فكان بطيناً شرها ، مؤثرا للذة ، مرحاً مبذراً . وكانت له معشوقة من الفاجرات ، شغلته عن زوجه وولده .

كان فيلسوفاً في صميم هزله . فقد غضب الملك على احد الامراء ، ولم يقبل به شفيعاً . فجثا اريستيب على قدمي الملك ، واخذ يقبلها وهو ضاحك ، يرجو سيده العفو عن الجاني . فعفا عنه . فلامه كاشحوه ، فاجابهم :

— لا لوم في ذلك عليّ فانما اللوم على الملك ، اذ وضع اذنيه في قدميه .

وسرى مذهبه في الهزل على أهل القيروان . وهي مدينته الاولى . فأصبحوا في هزلهم يمرحون . يقولون ان اللذة فضيلة تطرد الآلام . وان السعادة الابدية هي اجتماع انواع اللذائذ والشهوات وقد اورث اريستيب هزله هذا الى ابنته التي صارت اماً لفيلسوف هازل كجده ، الا انه زاد على هزله الالحاد ، فكان جزاؤه الموت .

هكذا لقد اضر الانسان الهازل هزله ، في حالتي الجهل والعلم . وقد عجبت للجاحظ وكان يؤثر الهزل في عيشه ، والنادرة في ادبه ، حين شهد على ابن المقفع بان علمه اكثر من عقله وكيف يكون عبدالله اقل في العقل من علمه ، وهو الجادّ ابدا ، الذي يقول :

اجعل غايتك الجد ولا تعتد ان تتكلم بما كان هزلا ، ولا تخلطن بالجد هزلاً ولا بالهزل جداً . فان خلطت بالجد هزلا ، هجنته وان خلطت بالهزل جداً كدرته . ثم التمس مؤلف كليلة ودمنة موئلًا للهزل في ادبه الكبير . اخرجه سبيلًا في تعلم التهكم فقال : غير اني قد علمت موطناً واحداً ان قدرت ان تستقبل فيه الجد بالهزل ، اصبت الرأي ، وظهرت على الاقران . وذلك ان يتوردك متورد بالسفه ، والغضب ، وسوء الحفظ ، فيجيبه اجابة الهازل المداعب برحب من الذرع ، وطلاقة من الوجه ، وثبات من المنطق .

قلت والهزل وان نفع ، فنفعه مقرون باستخفاف الناس . لانهم قد اصطلحوا على احترام ذي الجد ، ولو كان خفيف الاحلام . واتفقوا الزراية بالهازل ، وان يك راجح العلم ، لوذعياً فهيماً . ولقد حفظ ناس من نوادر الشاعر العظيم ، حافظ ابراهيم ، ما يكون لهم تسليةً ومجلبةً المضحك . وجهلوا شعره وآثار ادبه . وقد استخفت القوم في عصرنا الروايات الهازلة ، يقبلون عليها متزاحمين . وهي لا تخلو من وعظ ومغزى . غير ان جدّها القليل ، ضائع في هزلها الكثير . وخير الناس من قد اخذ بافاويق الجد ومباهج الهزل فصح فيه ان اقول من شعري :

ومـا الهزل الا آفة الجد في الورى	وما الجد الا نقمة اللهو والهزل
فـان تتوسط فيهما كنت غانماً	وصرت كمن قـد فاز بالعلم والجهل
فرحت بمدح الناس يحدوه عزلهم	ويا حبذا من راح بالمدح والعزل

زكي المحاسني — دمشق

نجوى قبرة

محمد مجذوب

طرطوس

حنانك لا تخشيْ أذاي ولا ضري … فما أنا ذو ناب ولا أنا ذو ظفر

حنانك لا يخفق جناحاك رهبةً … ولا ترمني عيناك بالنظر الشزر

أحذراً وفي جنبي يا طير للورى … وللطير دنيا من روى الحب والشعر !

أراعك هذا الحمل ينآد تحته … مَطاي فلا ينفك ينجده صبري !

وخطو يشير الارض لولا نداوة … ذرتها على ميت الثرى أدمع القطر

وسورة أنفاس يكاد زفيرها … يسيل شعاعاً في لوافحه سحري

فلملمت اطراف الجناح تحفزاً … وأمسكت خوف الغائلات عن النقر

وقلت،وقد أسرفت، : باغ من الورى … أخو شرك يطوي الضلوع على مكر

حنانك : بعض الظن إثم فما انا … ودنيا الورى الا الغريب مع السفر

حنانك : لستُ المرء يطلب يُسره … بآلام مخلوق سواه على عسري …

سلي دفقات النور في ماتع الضحى … سلي الشفق المغفي على أذرع البحر

سلي خفقات النجم في لجة الدجى … وعربدة الاسحار في يقظة الفجر

سلي عَرف هاتيك الازاهير في الربى … وهينمة الصفصاف في عدوة النهر

سلي الوادي النشوان بالعطر والندى … يطل عليه السفح بالحلل النضر

سليها فمن قلبي على كل نفحةٍ … بها أثر يروي المكتّم من سري

سلي عن أغاني الحياة فلم يزل … بسمعها رجع من النغم البكر

لئن أخفتها قسوة الدهر حقبةً … ففي النفس لحن عزّ عن قسوة الدهر

فقد يخرس الطير الحبيس وملؤه … حنين يهز الروح للأفق الحر

وددتُ لو أني جارك العمرَ كله … أذود بنفسي عنك عادية الغدر

تضوء عشياتي برياك فتنة … وتسكرني نجواك في البُكر الخضر

ويسبقني في الحقل ظلك عابثاً … فأقفز فوق الشوك في اثره أجري

وانعم تحت العش في حضن مضجع … يسيل عليه الطلُّ من أكؤس الزهر

فراشيَ فيه العشب غضاً ممهداً … وثيراً ولكن الوساد من الصخر

ومن ورق الدفلى علي غلالة … تقي جسمي العاري أذى البرد والحر

… منى من تهاويل الخيالات حاكها … صناعٌ من الوهم المجنح في صدري

حلمت بها في سكرة الدهر برهةً … فلما صحا جفت رؤاي من الذعر

وهمت بذكراها وقد حال بيننا … غياهب من ليل الحقيقة والفكر

أعدت الى القلب المحطم طيفها … جديداً فعاد السحر في دمه يسري

وأنسيته أوجاع دنيا هوت بها … زعازع تذرو الموتَ في البحر والبر

طغا في مغانيها الدمار وصوّحت … مفاتنها، رغم النهى شهوةُ الشر

فخلي جفوني المغمضات تضمها … قليلاً وخلي الطيف يلمسه ثغري

ولا تفسدي بالشك نشوة حلمنا … فما هي الا فترة ثم … لاندري !

الخصب في الادب

بقلم راجي الراعي



من ميزات الادب الحقيقي الرفيع وقل ان اتانا التاريخ القديم والحديث باديب استحق ان تطلق عليه لفظة الكبير ولم يكن كريم المعدن خصب المنبت غزير الينبوع ولو جئنا بالامثلة على ذلك لضاق بنا المجال فاجتزئ عن الكثير الذي لا حد لـه بذكر اسمين عظيمين يمران بي الان وهما فكتور هوغو الذي تقع مؤلفاته في ٨٢ مجلدا وبلزاك الذي تقع « المهزلة البشرية » وهي واحدة من الف في ٩٩ سفرا ، بلزاك الذي قضى الحياة والقلم في يده . . .

الخصب في ادب الاديب واريد به الموهوب دليل على قوة الروح وغناها واضرامها بل هو نتيجة حتيمة لتلك القوة ولذلك الغنى والضرام فكيف لا يرسل البركان حممه تتدافع في الاجواء وهو البركان ، وكيف يكف القلب عن نبضاته والحياة فيه صخابة جياشة . . .

ان الاديب الحامل بيضة الديك لا يطلع عليك بالكتاب تدبجه يراعته الا بعد ان تمر عليه السنون وهو رجل فقير في الادب ذو درجات ضئيلة معدودة اذ لو كانت نفسه تزخر بامواج الوحي والالهام وكانت ارضه مرصعة بالجواهر والكنوز وكان افقه غاصاً بالكواكب والنجوم والمجرات وكانت لـه ارحام لما امكنه ان لا يلد المواليد الروحية يقع منها الطفل في اثر الطفل في سلسلة لا تنقطع حتى ينقطع حبل البقاء . . .

اجل ان الاديب اذا كان حقاً من الموهوبين يصعب بل يستحيل عليه ان لا يكون سخيا جوادا ذلك ان في طبيعة الموهبة ان تنشر صحائفها الصفحة تلو الصفحة ، فلا تنطوي على نفسها فهي كتاب مفتوح بل هي الينبوع وكيف تتخيل الشيء ينبوعا اذا كان لا يتدفق . ان المواهب كؤوس دهاق تخلق طافحة بالخمر لانها من مظاهر كرم الله وحنانه فلا يفترض معها الشح ولان ما فيها امانة حدها الموت يودعها الخالق لتؤدي في سبيل الخلق بل هي نظرات الرضى الالهي انعمت بها عين الله على عباده المصطفين فلا يسعهم ان لا يشقوا حجب الليالي بالملايين من الاشعة يوزعونها في رحاب الدنيا هدى وضياء للعالمين .

واعجب ما في الامر ان يحسب الاديب الموهوب مجال الانتاج ضيقاً عليه وان يحار في ما يكتب مفتشا عن موضوع يحط عليه بقلمه فهو لو نظر الى ما فوقه وما تحته وما حوله وسبر اغوار نفسه وانحدر الى اعماقها لرأى في صور السماء والارض والطبيعة والنفس ومشاهد الدهر والناس وعبر التاريخ والوان الشقاء واوتار وانغام الاثير مادة روحية لا تسعها القراطيس ومجالا تضيق عن استيعابه هذه الحياة الصغيرة الضيقة وان فتح في كل جدار من جدرانها شرفة يطل منها على ذريات اليوم والغد بكتاب جديد . ان المرأة وحدها كتاب كل كلمة فيه كتاب اذا تناولها الفن وكتب ولكل صفحة من صفحات القلب معنى تواكبه مئة لفظة من هذه الالفاظ التي الفناها وفي كل غابة من غابات الوجود الف ظل يأوى اليه القلم ليخط آية وفي كل منبسط من منبسطات الارض قرطاس . . .

وبعد فان هناك الحافز الاكبر الذي يدفع الموهوب الى الاسراع في اخراج مواليده والاكثار منها وهو قصر الحياة فقد يأتيه الاجل اذا ابطأ واجل فلا يؤدي رسالته في حينها ولا يفرغ منجمه الكريم وبذلك يكفر بنعمة الله ويخون الامانة ويجحد كسولا اثيما .

ان الاديب الشرقي رجل كسول بطيء في انتاجه وبذلك يختلف عن زميله الغربي اختلافا بينا فقل ان تفتح كتاباً لكاتب اوربي او اميركي موهوب ولا تجد بيانا ضافيا بتآليفه فما هو هذا الكسل وما هي اسبابه . .

قد يكون في هذا الكسل كسل الغني الذي يولد غنياً فلا يجد في نفسه حافزا يحفزه الى العمل او كسل الحسناء تعرف انها جميلة فتقضي يومها حالمة متكئة على وسادة من حرير . . وقد تكون له اسباب اخر من فقر يحول دون تحقيق ما تتوق اليه النفس وفساد في البيئة وحسد يثبطان الهمة ويتشعث بها القلم وطفولة في الجماهير لم تطل قامتها بعد الى حيث ترى الموهوب المحلق في سموات الخيال والفن ، وروح في العصر طغت معه موجة المادة بحيث لم يعد للروحانية عرشها القديم ومثلها الاعلى ، وضعف في الارادة يبعد الشرقي عن ذلك النظام والترتيب اللذين عرف بهما الغربي في كل حقل من حقول حياته الروحية والمادية وجهل الموهوب نفسه وضعف ثقته بها وشكه في موهبته او اقتدائه بامثال زهير بن ابي سلمى وقد انطوى يومه وفلوبير الذي كان ينشد الكمال في الانشاء والكمال لله . . .

تلك حواجز قد يموت معها الموهوب والناس لا يعرفون من امره شيئا او لا يعرفون الا بعض الشيء فتبقى الخمور في الدنان يشربها التراب وقد خلقها الله لتسكب في كؤوس الاجيال فتضيف بها الروحانية الى قيثارتها اوتارا جديدة والانسانية الى اكليلها غارا جديدا . . .

هي حواجز العبقرية والفن تعترض سبيل الخصب الادبي الروحي ولكنها مهما كثرت وتلونت اشياء عارضة يمكن ان تزول ويجب ان تزول ، ذلك اذا حسنت النيات وتضافرت الايدي وقويت الارادة وقامت في هذه الارض عصبة روحانية تعمل على مكافحة الداء وتعيد الى الاديب الموهوب عرشه الرفيع الذي خلع عنه . . .

الى تأليف هذه العصبة ادعو كل اديب روحاني موهوب في كل قطر عربي فحرام ان تظل خمرة الجمال راقدة في كأسها والشفاه ترتعش ظمأ . حرام ان لا يطلق للمواهب العنان فتنهب جيادها الارض وتبلغ الاهداف قبل ان يحين الاجل . . .

ايها الاديب الفنان

اذا اطال القائد المسافة بين معركة ومعركة نسيه المجد ومحته الشهرة من لوحة ابنائها وهكذا انت فاذا لم تطل على الناس من شرفة الادب والفن بكتابك الجديد كلما نفد الكتاب القديم سكنت ريحك ومالت شمسك . .

ان في الشهرة جشعا لا يعدله جشع فهي لا تشبع ولا ترتوي . . . انها تريد ابدا الزاد والماء فان لم تأتها بهما في كل يوم بل في كل ساعة الفتك عن مطيتها التي تعدو الى الخلود .

ما الضحك ؟ ولماذا نضحك ؟

بقلم شفيق طباره

الم تسأل نفسك يوماً وانت تشاهد منظراً مضحكا لماذا نضحك واذا كنت قد سألت نفسك هـذا السؤال فهل توصلت الى معرفة سبب الضحك والباعث عليه ؟ لا شك في انك تضحك دون ان تفكر في الباعث على ضحكك . فهذه هي حالنا جميعاً بل حال ابناء الشرق على وجـه العموم . فان طبيعتنا الشرقية طبيعة خاصة قلما تميل الى الاستقصاء والتعمق ولذلك لم يهتم الشرقيون كثيرا ولا قليلا في تحليل ماهية الضحك فاكتفى كتابهم في تعريف الضحك بانـه ضحك يضحك ضحكاً . . . والضحك ضد البكاء . . . واكتفوا هم بدورهم من الضحك بانهم يضحكون . فلذلك دفعتني الرغبة في استطلاع اسباب الضحك فعنيت بدراسة ما قاله علمـاء الغرب وما شرحه فلاسفتهم من تعليـلات ورأيتهم قـد وضعوا نظريات مختلفـة اترك التبسط فيها للمستقبل حين يرغب من يرغب في الاختصاص بهـذه الموضوعات . واكتفي اليوم بابداء ملحوظاتي الخاصة عـلى اهم النظريات لاثبت بايجاز ان تعليلات الضحك غير مستوفاة اذ انها لا تصدق الا على بعض الحالات ولا تشمل الاسبـاب مـن سائر الجهات .

خذ مثلاً أبسط النظريات المتداولة بين الناس وهي النظرية القائلة ان (الضحك هو دلالة على ما يخالج عواطفنا من الشعور بالسرور) .

ولا شك ان السرور يؤثر في النفس ويهيء للضحك ولـكنه لا يبعث على الضحك دائماً فاننا كثيراً ما نضحك بدون ان يكون هنـاك امر يستدعي الضحك كضحك الاطفـال او الضحك الذي يحدث من الدغدغة والضحك الذي يصدر عن برد او جنون او شبه جنون كضحك المحكوم عليه بالموت . فهذه الحالات كلها لا تعوزها الغبطة ولا السرور ولا تتفق مع هذا التعريف بل تجعل من يتأملها يشعر بان هذا التحديد لا يزال ناقصاً اذ لم تتوفر فيه اسباب الضحك كلها .

واسمع نظرية ثانية تقول ان (الضحك من رؤية الغريب المخالف للمعتاد) واعترف اننا نضحك غالباً اذا لحظنـا بين الشيء والواقع اختلافاً ولـكن ليس كل — غريب مخالف المعتاد — صالحاً لان يبعث على الضحك في كل حين . فهيئة الاحدب او القزم هيئة غريبة عن المألوف ومخالفة للقوانين الطبيعية ومع ذلك فانهـا لا تضحكنا دائماً لكنها تهيج احساسات اخرى كالرفق والشفقة . واذا اطلعنا على اكتشاف غريب عجيب فقـد نستغربه ونعجب بصاحبه ومع ذلك فاننا لا نضحك منه .

واليك نظرية ثالثة يؤمن بها الكثيرون وهي تقول بان (الضحك من الشعور باللذة عند تعاقب حوادث متعارضة وافكار متناقضة) .

وتقريباً للحوادث المتعارضة والافكار المتناقضة الى ذهن القارىء اورد على سبيل المثل نزول الثلج في شهر تموز ورؤية عملاق بجانب قزم وسماعنا جوقة موسيقية تعزف انغامـاً غير موزونة في مكان مهيب ومما يلاحظ ان هذه الحالات لا تهز في النفوس دائماً عاطفة السرور ولا تكفي في حدوث الضحك بل كثيراً ما يشعر الناس امامها بالاسى والغيظ .

واقرأ ما جاء في نظرية (ارسطو) فيلسوف اليونان . ان ذاك المفكر العظيم قال (الضحك انما هو من لذة الانسان بارتباك الغير ومن شعوره بالظفر والتفوق على الاخرين) . مثال ذلك : صبي يرى رفيقه في مأزق لا يعرف كيف يخرج منه وهو يعرف ذلك ، او امام مسألة لا يقدر على حلها وهو يقدر ان يحلها . وقس على هذين المثلين مثلاً آخر : فاننا نرى رجلاً سميناً يسير في الطريق فتزلق قدمه على قشرة موز فيهوى على الارض فنضحك لاننا نعتقد

في اعماق أنفسنا اننا نمتاز عليه ولم نقع مثله . لكننا كثيراً ما نضحك بدون ان نشعر بعظمة او تفوق وبعكس ذلك كثيراً ما نشعر بتفوق وعظمة على اقراننا بدون ان نضحك مما يدل على ان الارتباط بين الشعور بالتفوق والضحك ليس محكماً كل الاحكام ولا يصح في جميع الاحيان . فانت ترى ان هذه النظرية مع جلال قدر قائلها ومع ما فيها من صواب ليست صحيحة كل الصحة ذلك لانها لا تصح الا في احوال مخصوصة اذا تجاوزتها انقلب الضحك حزناً وبرهاناً على ذلك تصور زيداً من الناس وهو بدين الجسم يهوى الى الارض فتنكسر ساقه اثر السقطة أفلا تشعر بانك في هذا الحال لا تضحك ابداً . فارتباك الغير اذن لا يضحك الا الى حد معين اذا تجاوزه اصبح نكبة او امراً مؤلماً يورث الغم ولا يبعث على السرور ولا يثير الضحك ابداً .

هذه اهم النظريات ومدار اراء المفكرين عن اسباب الضحك واعتقد ان نقطة النقص فيها انما هي ناشئة من محاولة العلماء والفلاسفة تعرف هذه الظاهرة النفسية في تعليل واحد في حين ان الامور المضحكة تتغير حسب الاشخاص وتتعدد بقدر تعدد الاحوال النفسية المختلفة . والمعضلة ان لم يوفق العلماء — كما قلت — حتى الان الى ايجاد (وحدة قياس) او تعريف عام يؤلف بين هذه النظريات ويحصر دواعي الضحك في تعليل واحد .

ثم أننا لو تصفحنا المؤلفات العربية على اختلاف انواعها لوجدنا الادب العربي على سعته وغناه خالياً من مثل هذه البحوث ولا نرى بين ادباء العرب القدماء والمحدثين من عني ببحث الضحك او توفق الى تحليل هذه الغريزة تحليلاً علمياً سائغاً ومفهوماً ثم ان الضحك من الاشياء المألوفة نخضع له ولا نفهمه وليس بوسعنا فهمه اعتماداً على تحاليل جزئيه وتفاسير مقتضبة محدودة كما هي الحال في قواميس اللغة وبعض الكتب العوبية التي بين ايدينا وانما يجب اذا اردنا ان نقف على خصائصه ان نتحرى اسبابه من كل نواحيها عندئـذ يستطاع الالمام بها بصورة جلية وصحيحة . وليزداد فهمنا للضحك اتقدم بثلاث ملاحظات اساسية فذكر الخصائص توضحه اكثر من التعريفات المختلفة .

فاول شيء نلحظه في هـذه الظاهرة هو ان (الضحك صفة خاصة بالانسان) فالحيوان والنبات لا يضحكان ثم نحن لا نضحك منهما ولا من الجماد فقد نرى منظراً طبيعياً يملأ العين بهجة فنشعر بالغبطة والانشراح ولكننا لا نضحك منه ولا من اي جماد آخر . صحيح انا نضحك احياناً من (البرنيطة) فالذي يضحكنا منها ليست قطعة القماش او القش في حد ذاتها وانما نضحك من الشكل الذي الحقناه بها فالشكل من عمل الانسان نقله من مخيلته وطبعه بها فنضحك منها لهذا السبب . وقد نضحك من الحيوان فضحكنا في هذا الحال ناشيء من اننا نرى فيه صفة انسانية او نحن نلحق به هذه الصفة . نضحك — مثلا — من الدب اذا جرب ان يمشي على رجليه لان المشي على هذه الصورة من خصائص الانسان . ونضحك من الببغاء اذا نطق ببعض الكلمات لان النطق من صفات الانسان ونضحك من الكلب اذا خـدعناه فاخطأ في المنطق والمنطق من صفات العقل الانساني . فاذا نحن الحقنا هذه الصفات الانسانية او ما عاثلها بالحيوان الاعجم ثارت فينا عاطفة الضحك لا محالة .

فلا جدال اذن ان الضحك من صفات الانسان لا يتعداه الى غيره من الحيوان الا بمقدار ضئيل لذلك قـال الفلاسفة (ليس من شيء مضحك الا وهو انساني) وعرف بعضهم الانسان بانـه هو الحيوان الذي يضحك (بالفتح) وهو الذي يضحك منـه وعندي ان هذا اصح من قولهم في تعريفه انه حيوان ناطق

اما الملاحظة الثانية فهي (ان الضحك غريزة اجتماعية) فنحن لا نضحك منفردين لان من شرط الضحك ان تكون جماعة فاذا انفردنا وضحكنا فانما نفعل ذلك ونحن نتخيل فرداً اخر نضحك منه او معه وقيل لو نشأ انسان منفردا لما عرف الضحك ابـدا . والضحك مثل التثاؤب تسري عدواه وتنتقل من انسان لانسان . اما شاهدت جماعة تضحك فسرت اليك عـدوى ضحكهم فضحكت ولم تفهم السبب ؟ في هـذا الحال نضحك بالتقليد لان التقليد طبيعي في الانسان . انا نقلد الضاحكين في حركاتهم فتتحرك فينا بذلك اعضاء الضحك فاذا تحركت اعضاء الضحك ضحكنا لان تحريك العضو يحرك وظيفته فـاذا تباكينا بكينا واذا تضاحكنا ضحكنا وذلك ما يفعله عادة الممثلون

وهناك مـلاحظة ثالثة حرية بالاهتمام : وهي ان (الضحك مصلح اجتماعي) ونوع من التأديب بـه تعاقب الجماعة الفرد اذا اخطأ في شأن من شؤون الحياة . هذا هو الضحك في هدفه الاول الذي نشأ من اجله في الاغلب .

فقد تكون سائرا في الطريق فترى رجلا اطار الهواء طربوشه فانطلق وراءه يطارده فكان يتدحرج امامه وهو يعدو ولا يصل اليه فهذا المنظر يجعلك تمعن في الضحك لفرط بلاهة الرجـل فلو خطر له ان يرمي طربوشه على الارض بمل‌ء خاطره لمـا ضحكت اذن انت تضحك من غفلته ليصلحها فكأنك بالضحك تنقذه منها .

كيف نحارب الكسل

لروناند اوكدن – ترجمة فؤاد عبد المجيد الاعظمي

« ان الفكر المنظم هو الذي يزيد الكفاءة والسعادة معاً » هذا ما قاله الفيلسوف العظيم (برتراندرسل) . وفي هـذا المقال يحدثنا (رونالد أوكدن) عن كيفية ازالة الخوف من الفشل من عقولنا ، وبعض الافكار الخاطئة التي تسبب الكسل والتراخي ونتائجها التي تتلخص في التعاسة والتقصير »

كنت أعرف امرأة صديقة لي كانت تملك مقـدرة فنية عجيبة ، وقد حاولت عدة مرات ان تبيع بعض ما عندها من الاعمال الفنية ولكنها لم تفلح في ذلك اذ رفضت معروضاتها ولم ترج ، وعوضاً عن ان تجهد نفسها لمعرفة الاسباب التي سببت رفض معروضاتها وكسادها ، فقـد استسلمت الى الخيبة وعذرها الوحيد انهـا جد كسلة عن البحث في ذلك ، وعندمـا ظنت انها غير قادرة على الفن تركت حياتها الاولى واشتغلت كامرأة ساقطة ، وعلى ذلك ضيعت كل مواهبها الفنية عبثاً وبـدون مسوغ سوى الكسل والوهم الذي استحوذ عليها ووسوس لها بانها لا تصلح لحياة الفن لكسب قوتها الحلال .

ليس هناك شخص كسل بالفطرة ، وما الكسل سوى سد اصطناعي نفعه بانفسنا لكي يحفظ لنا الاعتبار النفسي ، ويقينا مغبات التعرض لاخطار الفشل الذي نتخيله فنخشاه .

ومرة خطرت في رأس كاتب فكرة تأليف كتاب ، فقال في نفسه : « اني اذا انجزت هذه الفكرة فسأكسب حظاً سعيداً » وبعد هنيهة داخله الشك وبدأت ثقته بنفسه تتقلص وتنكمش فقال في نفسه مرتاباً : « انني اشك في استطاعتي على تحقيق هـذه الفكرة » ، واخيرا بدأ يعتقد ان فكرته هذه غـير ناضجة ولا تستحق الاهتمام وتضيع الوقت الطويل في انجازها . والشعور الاخير لهذا الكاتب هو الكسل بعينه والتراخي المقعـد الممقوت .

فالكسل ، اذن ، هو الهرب من الحياة ومسؤلياتها . وقلة الثقة بانفسنا هي التي تجعلنا نفضل البقاء حيث نكون على المجاذفة التي ربما تفقدنا اعتبارنا النفسي الموهوم بتعرضنا الى الفشل ، ودعنا نقول الآن : « ان الذي يتحاشى الخطأ دائماً لا يتقن شيئاً » ، وهنـاك رجال كثيرون لديهم اعمال وطيدة قـد تشبع حاجات اسرهم البسيطة ، ولو فكر هؤلاء الرجال واجهدوا انفسهم لتحسين اعمالهم وتوسيعها ونيل التبعات الكبيرة والسلطة الواسعة ، لاستطاعوا الى ذلك سبيلاً ، ولكن لماذا ، اذن ، لا يعمل هؤلاء تلك الاعمـال

ثم اننا نضحك من السكران لاننا نشعر اننا متفوقون عليه ولم نقع في خطأه فكاننا في ضحكنا نهزأ بـه ونحذر غيره من ان يسكر . ونضحك من الاعرج لاننا برئنا من نقائصه وساعـدنا الحظ فلم يضعنا في موقفه ففي مثل هذه الحالات يقوم الضحك مقام المهذب للنفس وللطباع والعادات لانه ينبهنا الى نقائصنا واغـلاطنا ويحضنا على اصلاحها والا اصبحنا عرضة له .

ورب سائل : لمـاذا يحدث الضحك ولم لا تبقى العاطفة مكتومة في نفوسنا فاجيب ان خلاصة ما يقوله الفلاسفة في هذا الموضوع وعلى رأسهم الاستاذ (بركسون) ان عاطفة السرور ان اهتاجت وفاضت نفوسنا بالغبطة تحدث في اعصابنا ازمة لا تنفرج الا بالضحك فكما ان الانسان ينفس كربه بواسطة الدموع كذلك عند الفرح يطلق سروره بواسطة الضحك ، فالضحك اذن بمثابة مصرف لما زاد من القوة العصبية اما وظيفته الفسيولوجية فانه يزيد كمية الهواء الداخل للرئتين فتزيد بذلك سرعة دقات القلب وبـذلك زيادة سريان الدم في العروق والنشاط في الجسم .

والضحك والبكاء في جسم الانسان لا بد من انطلاقهما امـا بالدموع عن طريق العيون او بالقهقهة من مخارج التنفس وهما صنوان وضرورة من الضروريات وكلاهما فيض الكأس عند الامتلاء ووظيفتها في جسم الانسان شبيهة بوظيفة (الصمامة) في الالة البخارية . . .

شفيق طباره

الصعبة لتحسين ما لديهم من المهن ، السبب في ذلك ، غالباً ، هو خوفهم من ان يخفقوا في الاعمال الواسعة ذات التبعات الكبيرة ؛ وهذا الخوف على الاغلب خفي غير واضح ، فالعقل البشري يميل الى التجنب عن مواجهة الحقائق المرة ، ويشرع في اختلاق الاعذار للسلوك المجانب الذي يسلكه والذي يختفي وراءه تلك الدوافع الحقيقية، دوافع الخوف ، فقد نجد انساناً يفخر بنفسه على احتشامه وادبه وتواضعه ، او نجد آخر يدعو نفسه حكيماً متدبراً فطناً عندما يقول لك انه يفضل الطير الواحد في اليد على الطيرين في الحرشاء . . وما ذلك الا انه يفضل الكسل والجمود على الحركة والدأب والجهد .

الرجل الكسل المتراخي ، كما قلنا ، هو ذلك الذي تنقصه الثقة في مقدرته ، فكيف اذن يستطيع هذا الرجل ان يسترد ثقته المفقودة ؟ اننا نجد كثيرين من الرجال قد فقدوا ثقتهم النفسية ، او انها قد حطمت وكسرت منذ حياتهم الاولى عندما كانوا اطفالاً يعاملون من قبل آبائهم ومدرسيهم بالقسوة والعنف ؛ وليس من المفيد ان نقنع بلوم الآباء والمدرسين ، ولكن معرفة هذا تقدم لنا المعاذير فاكتشاف السبب يعين على استئصال العلة وازالة الاثر .

فاول شيء واجب عمله هو ان يصمم الشخص على ان يقتلع من نفسه الضعف ، فطبيعي ان الانسان ، كسائر الموجودات العضوية ، مخلوق نشيط وقادر على تكييف نفسه حسب المحيط ، وحتى التغلب عليه . والانسان بلا ريب اقدر الكائنات الحية على هذا التوفيق والتكييف . فعقله النير وجسمه المطاوع يمدان بما يلزم من الوسائل والوسائط لهذه التسوية اكثر من أي حيوان آخر .

ولما كان العقل البشري ، عضواً حساساً جداً فهو عرضة للخلل اكثر من اي عضو من الاعضاء التي هي اقل حساسة واشد خشونة وصلابة . قد يستعمل الانسان عقله كواسطة لا للتغلب على المحيط بل لحفظ اعتباره النفسي ، ويحدث هذا عندما يبدأ الشخص بخلق المعاذير عن الاعمال التي يهملها كسلاً منه والتي يجب ان يعملها ؛ وربما تؤلف هذه المعاذير باعتناء زائد وبصورة تتطلب عدة كتب اذا ما جمعت من كثير من الناس ، وتصبح قاعدة لفلسفة كاملة من الافضل ان تسمى فلسفة الكسل .

والشيء الاخر الذي ينبغي عمله للتغلب على الكسل هو ان يريح الانسان عقله من عمل المعاذير المختلقة لتبرير كسله ، وقد قال الفيلسوف برتراندرسل « انه لمن المدهش ان نرى كم تزداد السعادة والكفاءة معاً بتهذيب العقل الصحيح المنظم » وهو يشير بقوله هذا الى اهمية ترك المعاذير المختلقة والاسباب المفتعلة لارتكاب الكسل ، اكثر مما يشير الى ضرورة تكوين التفكير المستقيم .

ولا ينبغي ان يكون غرض الانسان في الحياة حفظ الاعتبار النفسي ، او كسب الشهرة فقط بل الاحرى به ان يقوم ببعض الاعمال الصغيرة المفيدة ذات القيمة والنفع له وللآخرين ، واحياناً كثيرة تُرى هذه الاعمال الصغيرة الحقة غير مكترث بها او حقيرة طفيفة ، والصحيح اننا بانجاز هذه الاعمال الصغيرة فقط نستطيع نيل الثقة على السير وعمل ما هو اكبر واوسع واكثر خطراً . ولعل اشيع الاعذار بين الناس لعدم القيام بعمل ما هو ان ذلك العمل صعب جداً . فنجد كثيراً من الناس يضعون لهم آمالاً عريضة يدركون معها من البداية انهم لا يقدرون على انجازها ، وعندما يفشلون في النهاية عن تحقيقها يعتذرون قائلين : (حسن ، لم نستطع النجاح وليس هناك غيرنا من يستطيع ذلك ، ويكفينا على الاقل ان قمنا بالتجربة) . وكثير من الناس يبددون حياتهم بكاملها محاولين تحقيق مثل اعلى لا يمكن نيله ، بينما كان الانفع لهم ان يعملوا اعمالا ذات قيمة لانفسهم والقريبين منهم ؛ وقد يكون لدى هؤلاء الناس مقدرة لا بأس بها ونشاط عظيم ، ولكنهم وهم في هذه الحال مصابون بنوع آخر من الكسل هو الكسل العقلي الذي منعهم عن التفكير والتفريق بين الحقيقة والخيال او بين الاعمال المعقولة التي يمكن انجازها بسهولة وبين الاعمال المتصورة التي يتعذر تحقيقها ولو بشق الانفس . فليس هناك شخص يتوقع ان يصل الى قمة السلم بقفزة واحدة . ولو اننا نجد اناساً يشعرون بان ليس هناك طريقة اخرى احسن من طريقة القفزة ، والسلم قد يظهر لبعض الناس طويلا جداً وقد يراه البعض الآخر قصيراً جداً ولو انه لم يحدث لهؤلاء ، ولا لأولئك ان قاسوا طول السلم وارتفاعه .

وكذلك نجد اناساً يخلقون لانفسهم مثلاً عليا كاذبة ثم لا يعملون شيئاً او يفترون عن العمل مدعين ان المثل العليا لا يمكن نيلها . . .

ولهذا فالتغلب على الكسل يعتمد بصورة خاصة على ايجاد الغرض الصحيح من الحياة . ووضع الهدف المعقول النبيل للانسان في هذه الحياة ليس بالامر الصعب ، ولو ان هناك من يقول كانه يعتذر لكسله، بانه لم يجد الهدف او الغرض الذي يستحق الكد والعناء ، وما هذا ، الا قول هراء .

(عرباً عن « مجلة علم النفس » الانكليزية)

فؤاد عبد المجيد الاعظمي — بغداد

نغم يموت

طاف في دنياي احلى نغم   وادع ، حسبته من نعمي
ومضى ، لم يبق لي الا صدى   منه يشجيني ، ويسري في دمي

آه ، كم عللت فيه أملاً   غاب عني عدماً في عدم
وغمست الجرح في بلسمه   فاذا بلسمه ، هو المي

نغمي قد مات . ايّ نغمٍ   كان ، لم يُندب ولم يُسترحم
كبرياءُ النفس صاغت نعشه   والرضى مني مشى في المأتم

انا لن اسمع ، بعدهُ نغماً   غيره ، يا نفسُ عفي واكتمي

يوسف الخال

مرور

أيّ وجدٍ تولينه ، الحلم الدامي ، وأي ارتعاشة حمراء
في تغني عينيك زغردة حرى ، وفي خاطري لظى الاصداء
. . . انا في مبتغاك زوبعة الشوق المدمى في الغمرة الرعناء
وشباب حران لوّح للشمس ، فغصّ الشروق بالاضواء
يلتقيك الشراع للضفة السكرى ، ودنيا من المنى الخضراء

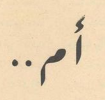
***

. . . وتمرّينَ ؟ فالاغاريد آهات ترامت في زفرة خرساء
وعلى منكبيك خلجة هزء اغرقت في فمي رفيف النداء
وانا والهوى جناحاك في الحلم وجو الذهول والاعياء
زهو خديك خجلةٌ — في ذراعيّ — وخفق الاعطاف ظلّ ارتقاء

***

. . . لهفة المخدع الذي غص بالصمت فاغفى على يد الظلماء

احمد شكري سالم — دمشق



الكاتب الروسي م. انسكوف

•

لقد ولت ايام فتوتها الساذجة، ايام الاناشيد والنزهات وحلقات الرقص التي كانت تدوم الى ساعـات متأخرة من الليل، وولت صباحات الربيع المضخمة بشذى اوراق الشجر العبقة، والمكسوة بالندى اللاذع، وولت كذلك ذكريات البلابل المغردة المنطلقة من خلال الادغال باغاريدها وزقزقاتها التي كثيراً ما كانت تمحو من الذاكرة عدد القبل المطبوعة على الشفاه.

ولى كل ذلك من خاطرها ولم يبق لفتاة الامس من حـاضر حياتها سوى ذلك البيت الزوجي الانيق القائم تحت شجرة من اشجار الزيزفون السامقة نشأت منذ كان النشوء، ونمت وترعرعت مع الاجيال والآجال. امـا شجيرات التفاح والكرز المنثورة حول المنزل فهي بنت الامس القريب وغرس الزوجين الحبيبين. وما تلك الازاهير الفواحة التي يفوح اريجها تحت النوافذ الا ثمرات يانعة لعناية «ايرين» الولوعة بنبات الارض شأن صغيرها «فاسياتكا». فهو ايضاً يحب الزهر والنحل وبعض الارضة التي تزحف الى روضه المخضوضر الصغير.

ويعود الحنين «بايرين» من آن لآخر الى ايامها الاولى وعهد صباها البسام فينطلق صوتها باغان عذبة ناعمة تتناقل صداها امواج النسيم بينما تتابع هي نسج الصفوف بساعديها الكولكوزيين. نعم فقد باتت اخيراً تضاهي اية شابة من شابات كولكوز عملاً وانشادا وظرفاً. وليس بغريب بعد ذلك ان تسمع دوماً ايام الاحاد تحت نوافذ ذلك البيت المرواح اصوات «الاكورديون» الهذيانة يرقص على نغماتها صبية القرية وبناتها رباعاً او مجتمعين في رقصة البولكا وغيرها من الرقصات الروسية. وكان «اينياس» زوج «ايرين» الشاب الذي يجمع الى اتقان العمل خبرة في الموسيقى ونزعة للدعابة فخوراً بمهارته في العزف على «الاكورديون» وسعيداً بمشاطرتـه زوجه عيشها ولهوها ايام الآحاد.

على ان كل تلك السعادة لم ينبجس فجرها ثانية بعد صيف ١٩٤١ البتة. فقد لبى «اينياس» نداء الجندية مع غـيره من المواطنين واضطر بذلك الى مغادرة خدره الزوجي الآمن بكل ما فيه من انس الولد وحب الزوجة وهناءة العيش.

لقد ارغم اذاً على ترك ذلك الملاذ الوادع، ولذا قبـل ان يتخطى عتبة منزله امسك «فاسياتكا» الصغير بين ذراعيه فقبله وقال لزوجه:

— اتكلاً عين رعايتك هذه الشعلة المتقدة الفريـدة... أرأيت... ولكنه الواجب يدعو الى الرحيل.

ثم صعد من اعماقه زفرة حرى وضم الاثنين اليه ضمة عجلى توارى بعدها عن الانظار.

وكان ان احتل اولئك الرجـال القساة الغرباء ارض الوطن فعاثوا فيها فساداً وادخلوا الى قلوب ابنائها الآمنة الذعر والهلع وبدلوا الحياة غير الحياة فاذا بهـا كئيبة تمضي ايامها فاترة رتيبة مكفهرة؛ فكلح الصوف وعفن على مباسطه، وانـدرس القمح واسود في الحقول المداسة بالنعال، وشعير اذار غـا وانبت في السنابل. اما الاغاني والاهازيج المرحة التي كان يضيق بها فضاء كولكوز فقد غامت فوقها الكآبة منذ ذلك الصيف المنصرم وانطوت مع الزمن في لجج النسيان؛ وبات يخيم على كولكوز برمتها سكون رهيب لا يسمع من خلاله سوى اجهاشة مرة تختنق فيها عبرات امرأة او صرخة حادة اتبعتها قصف مروع اثر بريق

خاطف . وكادت القرية تخلو من الرجال لولا اعتصام بعض الشيوخ الذين اقعدتهم سنهم عن الفرار الى الغابات فبقوا فيها تحضنهم وحشة القبر وتحيق بهم غمرة من اليأس والشجو . والالمان مـا فتئوا منذ اقتحامهم الارض الروسية يترددون الى القرية فيقتادون آخر انعامها ويغتصبون السنبلة الاخيرة من حقولها ، وكانما لم تكن مثل هـذه الاعمـال لتكفيهم فيعمدون للارهاب الى احراق الاكواخ والاقتصاص ممن يتمردون على الطاعة ويثورون على العنف باشد وسائل الانتقام هولا واكثرها قسوة . وقد حدث ان ربأ شيخان بنفسيهما ان يخنعا ويستكينا للعدو فاحجما عن افادته بما ينقع غليله وكانت عاقبة ذلك الاحجام ان علقا الى اعواد من السنديان الصلبة في ساحة كولكوز الكبرى .

وهكذا قدر لتلك القرية الهانئة ان تغفو لياليها على دوي المدافع وتقضي نهاراتها تحت رحمة العدو المغتصب وتبيت مونسة موحشة كأنها مقبرة الابالسة تطؤها اقدام الانسان من الوجل .

***

ومضى على القرية ثلاثون يوماً انتهت بصرع « اينياس » في ميدان مشرف وجرت وراءها وقائع الحادثة التالية :

كان احد الجنود الالمان من مفرزة عابرة يتلهى ذات يوم باطلاق النار على زمرة من الاطفال تلعب بالرمل الى جانب الطريق فيصيب منهم من لا يسرع في تلافي طلقاته ؛ وكان الكثير من هؤلاء يقع مضرجاً بدمه والقليل منهم من يتمكن من اتقاء الشر في الوقت المناسب فيتوارى عن انظار الجندي . ودخل يوماً على « ايرين » عدد من جاراتها يحف بهن جلال الموت ليسجين على المقعد الخشبي جثة طفلها الصغير ضحية اللهو البرىء والغدر الغاشم . ولم تكد عينا « ايرين » يومذاك تقع على فلذتها الدامية حتى لفظت اوصالهـا زفرة صماء : فاسياتكا . . . ولدي » . ثم امسكت بين ذراعيها طفلها الهامد وراحت تغمره بقبل نهمة ضارية تارة وتداعب بانامله تارة اخرى الشعر الاشقر الرمادي اللاصق بالرأس وتغسل طوراً ثالثاً الدم المنساب على الجبين وهي تحدق الى عيني الصغير الغافيتين المرسلتين الى سقف الغرفة : « عيناي الغزيرتان ، عيناي الحلوتان . هل خبا فيكما النور وانطفأت شعلة الحياة الى الابـد ؟ » وتعود « ايرين » فتدني منها بشدة طفلها الصريع جاهـدة لاذكاء قبس الحياة في ذلك الجسد الرهو الصغير . . . وكان الليل قد تقضى الا اقله عندما توفر للجارات انتزاع « فاسيا » من يدي امـه ليتعهدن الدقائق الاخيرة من عمره السليب . وما ان تم لهن ذلك في صباح اليوم التالي حتى عدن الى « ايرين » يؤنسن وحشتها خشية منهن ان يتملكها يأس الوالدة التي ثكلت فلذتها وانيسها في الحياة .

منذ ذلك الوقت لم تعاود « ايرين » ابتسامتها الاولى بل اتشح وجهها بهالة من الاسى العميق والصمت الهادىء وبات من يراهـا سادرة واجمة تشهد من النافذة مرور القطر والمفرزات بـذهول رهيب يخالها دنفة امضها البعاد بينما هي في الواقع تحضن فكرة جريئة وتغذي بثيابها عزماً ذا شأو وبال .

واتفق يوماً ان التأم جمع من المواطنين ضم « ايرين » وقف يتداول حديثاً بدا خطير الغاية جسيم التبعة اذ كان يـدور حول نسف الطريق العام . وسرعان ما ارتسمت على محيا « ايرين » اذ ذاك سيما الارتياح والبشر كانمـا ايقنت على حين غرة ان الفكرة التي تحضنها منذ زمن والعزم الذي تغذيه بثبات قـد آن للارادة ان تخرجها لحيز العمل بعد ان وضح الهدف واتيحت الفرصة — فقالت دون ما تردد او وجل :

— يمكنكم ان تعتمدوا علي في تنفيذ هذه المهمة .

فلم ينبس احد باعتراض ما بل سعى لايقافها على خطورة مـا انتدبت نفسها للقيام به وافهامها ان الامر يتطلب الكثير من التعقل والرزانة ؟ والا فلا مفر من الموت الذي يعقب كل اخفاق . ان « ايرين » لم ترد على ان اردفت مقاطعة :

— ولكنني اخبرتكم بعزمي على العمل . . . وسامضي في ما عزمت عليه .

فصمت الجميع وكان صمتهم دليل القبول والموافقة .

***

كان من المقرر بادىء الأمر ان يقذف الجسر الذي يشطر النهر شطرين ويجمع بين طرفي الطريق العام ، ولكن عملاً كهذا ليس في الواقع من السهولة على شيء . لان الجسر كان مراقباً بحيطة يصعب معها الدنو منه . لذا كان من الايسر نسف القطار العدو الذي يمر عادة فوق الجسر ، وهذا ما اجمع المواطنون عليه . كانت « ايرين» حتى وقتذاك مكلفة بحراسة مستودع صغير للعتاد الحربي دفن على مقربة من منزلهـا في حفرة استلزمها وجود شجرة من الزيزفون هناك . وقد باتت اخيرا من اللواتي يـدركن كنه الديناميت وسر تآصره مع البيروكسيلين» بيد انه لم يكن عليها سوى الاحتفاظ بهذه الذخيرة فحسب ولكنها مع ذلك ابت الا ان تنفث عاجلاً في تلك المواد الاولية قوة الدمار الهائلة وتضرم فيها قبل الاوان سعير انتقام رهيب . وقد قيل لها انها لن تتحمل غـير

تبعة صرة صغيرة تنقلها الى المحطة الواقعة بالقرب من كولكوز التي ستجعلها المفرزة الالمانية مركزا تتمون منه بمختلف المحروقات .

وهنالك في المحطة بين العمال الذين ينقلون الحطب الى القطار رجال يؤمن جانبهم يتسلمون من « ايرين » خفية الصرة العادية المحتوية على طبقتين من الزاد . وما على « ايرين » بعد ذلك الا ان تعود ادراجها لان اولئك الرجال سيأخذون على عاتقهم انجاز العمل فيدسون القذائف بين اكداس الوقود .

وما ان طفلت الشمس في ذلك اليوم واكتسى المساء ثوب الغروب البرتقالي حتى دلفت « ايرين » الى المحطة تحمل بيدها سلة صغيرة فيها من الزاد عدد وافر من البيض . واتفق ان وصل الى المحطة في ذلك الحين قطار زخرت بعض عرباته بالمدافع والدبابات ووشح البعض الآخر باغطية ساترة وقسم منها ثالث ترك فارغاً المنقل . نعم لقد وصل القطار وزودت قاطراته بالحطب والوقود ولكن الرجال الذين تأمن « ايرين » جانبهم لم تقف لهم على أثر فيه ذلك المساء وعبثاً حاولت « ايرين » ان تصدف اولئك الاعوان ، بيد انها لمحت آخر الامر ميكانيكي القطار فدنت منه هادئة متزنة وقالت :

– اتريد ان تحملني الى اوليا نوفسكا ولك كل ما في هذه السلة ؟

فنظر الالماني الى السلة وبعد ان اجال طرفه طوال المفرزة أجاب بتردد :

– اصعدي . فصعدت « ايرين » الى القاطرة واستوت فيها فرحة بهذا الحظ الذي مهد لها الخطوة الاولى في سبيل ثأرها وتضحيتها .

***

كان الموقد ينشر على جنباته لهباً قائظاً ، وجفنا « ايرين » ينطبقان على محجريها لما كان يعروهما من وهن النعاس . ولولا قطرات من المطر الوابل تعصف بها الرياح المثلجة بين الفينة والفينة فتذروها داخل القاطرة حيث قبعت المواطنة الثائرة لاستولى الكرى على عيني « ايرين » ولعبت بها الخور واقعدها عن الحراك . أزال الميكانيكي ذو الخوذة الالمانية ما اعتلى سلة البيض من غبار المحروقات ثم حدق بانتباه على ضوء مصباح كهربائي الى بيضة جعلها بين يديه لم ينشب ان ثقب جانباً من قشرتها بعويسة صغيرة ورفعها الى فمه مفرغاً فيه زلالها بلذة بادية . وبعد ان مر بلسانه فوق شاربيه الشقراوين بتؤدة وروية أصلح من شأنه وقال « لايرين » مشيراً بيديه كانما يدلل على قدر نفسه وشأن ذاته :

– آه ما اشهى البيض ! حقاً انه لذيذ . ثم ربت على كتفها وأرسل اليها نظرات صريحة الغاية اتبعها بغمزة رشيقة من طرف عين غاض ماؤها فبدت غير ذات تألق وضياء . ولكن محياه المتجهم وبطنه المنتفخ ، وبقايا القشور التي ما زالت عالقة بشاربيه ، وانفه المعفر بصفرة البيض ، كل ذلك لم يكن ليتفق البتة مع حركاته ونظراته مما اثار في نفس « ايرين » ميلاً الى الضحك فافترت شفتاها قسراً ولاول مرة منذ شهور عدة بابتسامة حلوة قصيرة . وبعد ان داعب الالماني شاربيه استوى في جلسته والقى امراً الى الوقاد الذي هب من مكانه رغم ما به من وصب واعياء وفتح فوهة الموقد لاضرام النار وابتعاث اوارها من جديد . وهنا ابتردت عينا « ايرين » وتصلبتا كانما تحدقان الى مشهد جلل : « ولدي الحبيب ... صغيري العزيز ! » غمغمت بهذه الحروف دون ان ترتسم على شفتيها صور الكلمات او يسمع منها همس او دمدمة ، بينما كانت يداها الحازمتان تعقدان الصرة المأخوذة من سلة البيض واصابعها المتوترة تعد الثواني الاخيرة ... فقد حان الوقت واوشك القطار ان يقترب من النهر . وفجأة سرت فيها رعشة باردة وجب منها فؤادها وارتعدت لها أوصالها : هل تنجح في مهمتها . وماذا ينتظرها لو داهمها من يعكر عليها عملها . ومرت القاطرة بآخر شجرة ... ولم يبق بينها وبين الجسر سوى امتار قليلة . وقبل ان يغلق الوقاد فوهة الموقد استجمعت « ايرين » جأشها والقت فيه بتشنج الصرة الصغيرة ... واذا بالميكانيكي ينقض عليها مذعوراً ويمسك بمعصمها صائحاً :

– لم اقدمت على ذلك ؟ ماذا القيت في الموقد ؟ وقبل ان تتمكن « ايرين » من الاجابة كانت السنة اللهب قد اندلعت من القاطرة ، والقذيفة الهائلة بدويها ونارها ونورها قد ابتلعت كل شيء واتت على القطار بكامله .

وأضيئت سماء ذلك المساء بانوار دامية ، واستحالت سحب الخريف الواطئة حمماً أرجوانية تتسابق سراعاً على ارتفاع قليل من الارض . اما فلول العاصفة الهوجاء عاصفة اللهيب المطبق فقد اشرأبت نحو السماك تملأ جوف الفضاء وتغطي اديم السماء

ترجمة : رشيد شقير

النقد الاول

◆

الانشودة الاولى كانت لله
غناها يوم خلق حواء لآدم
فأبدع !
وكانت من نغم «العشاق»
فكان الاصطحاب * الاول

وكان الله، اول من اطلق وتراً
واقلت لحناً
تجاوبت الطبيعة صداه
جيلاً بعد جيل

تذوقته ملائكه
فكان السمع الطيب
ومجته ملائكة
فكان النقد الاول !

البير اديب

* الاصطحاب بمعنى « الارموني » والكلمة لاسكندر شلفون

الثقافة الفرنسية

في الحرب الحاضرة

من اغرب نتائج الهزيمة الموقتة التي منيت بها الجيوش الفرنسية سنة ١٩٤٠ هو بلا ريب اشعاع الثقافة الفرنسية منذ ذلك التاريخ . فبينما كان يخشى ان تنكمش فرنسة ولو موقتاً على نفسها داخل حدودها وهي مرهقة بضربات قوة قاسية ، شهد الناس على العكس ازدهارا عجيبا للكتب والصحف والمجلات الفرنسية في جميع انحاء العالم . وليس بالامكان تعداد كل هذه الجهود وانما نكتفي بذكر بعضها .

ففي انكلترا ظهرت منذ خريف سنة ١٩٤٠ مجلة شهرية عرفت بـ « فرنسة الحرة » وصحيفة يومية دعيت « فرنسة » ثم وجدت بعد قليل في لندن صحيفة اسبوعية سميت المارسلياز . وكانت هذه الاخيرة تصدر في نيويورك والقاهرة ايضاً .

اما في امبركا فقد صدرت صحيفتان اسبوعيتان كبيرتان هما « في سبيل النصر » و« فرنسة وامبركا » . وقد اوجدهما بعض كبار الصحفيين الفرنسيين . كما ان دوراً للنشر اسست في كندا وفي الولايات المتحدة ونشرت آخر مؤلفات جول رومان وجورج دوهاميل واندريه موروا . وكذلك البرازيل راحت تنشر كتبا مدرسية وكتب برنانوس وكتباً تستعرض حوادث الحاضر نذكر منها كتاب الجنرال شاديك لافالاد عن المارشال بتان

اما الارجنتين فقد اوجدت مجلة دعتها « الاداب الفرنسية » التي كان لها شرف التعاون مع افضل الشعراء المعاصرين . حتى المستعمرات الافرنسية المهجورة كجزيرتي سان بيير وميكلون الصغيرتين والغارقتين في ضباب الاطلانطي على مقربة من الارض الجديدة فقد اسسا لنفسها صحيفة اسبوعية هي « الحرية » .

تلك هي بعض الجهود الفرنسية في امبركا . اما في آسيا فلنذكر « فرنسة الشرق » المجلة الشهرية الكبرى التي تصدر في دلهي مع مجموعة من المنشورات الانيقة حيث تتحد الفكرة المتينة مع الوطنية الحارة .

وفي ايران اوجد العالم الاثري الشهير السيد جودار نشرة سياسية ادبية ذات فائدة كبرى .

ونكتفي بالتذكير بجميع المنشورات التي قام بها الافرنسيون في سورية ولبنان .

ويمثل الاوقيانوسيا في بياننا هذا الصحيفة الاسبوعية المعروفة « بالبريد الاسترالي » والتي تصدر في سيدني ويمثل مصر الصحيفة الاسبوعية « المارسلياز » .

ومطبوعات « دار الاداب الفرنسية للنشر » ومنشورات السيد فيات الذي يجمع الى كفاءته كمستشرق وعالم اثري وطنية لا تتزعزع ، وكذلك المجلة الفخمة « فرنسة دائماً » و« مجلة القاهرة » .

وفي تاناناريف توجد مجلة « مدغشقر » وفي برازفيل صحيفة يومية وفي الكمرون صحيفة اسبوعية وفي افريقيا الغربية توجد عدة نشرات تصدر من وقت الى آخر حقاً انه لانتاج خصب

ولن نتكلم عن منشورات افريقيا التي لا تحصى !

كل ذلك يمثل جهدا عظيما ونجاحاً صحيحاً . ويجب ان نقول ان كل هذه المنشورات تحوي مؤلفات قيمة سواء اكانت صادرة عن كتبة مشهورين او عن ادباء او صحفيين كبار سبق ان اشتهروا قبل الحرب او عن كتبة حديثي العهد بالكتابة وغير معروفين ، حتى الان والذين سيحوزون غدا على عطف الجمهور . ولم تظهر مثل اليوم في وقت من الاوقات تلك المقدرة الكتابية التي توجد في فرنسة اكثر من اي مكان آخر .

فالفرنسيون مشغوفون بالكتابة وهم يكتبون بسهولة . واصغر جندي يستطيع ان يسرد بطريقة حية الحوادث التي شهدها والمعارك التي خاض غمارها والآلام التي تحملها .

ولم يكن الفرنسيون قبل الحرب يجولون مطلقاً في الخارج . فكان اديهم ومدنيتهم منحصرين في باريس فدور النشر الكبرى والصحف البارزة لم تكن تنجح الا في العاصمة . اما خارج العاصمة فقد كانت المدارس التي هي تتعهد نشر اللغة الفرنسية والفكر الفرنسي : الا ان الكتب المستعملة في هذه المدارس كانت تأتي من باريس . اما اليوم فبفضل الحرب وتبعثر اكثر الرجال حباً في العزلة في شتى انحاء العالم اخذ هؤلاء ينشرون مجلات وصحفاً مختلفة ويلاقون نجاحاً لا شك فيه وفي جانب جميع المصائب التي ولدتها الحرب نجد في هذا انتقاماً للفكر .

جان غولمه



الحب الافلاطوني والهوى العذري

– لا علاقة بينهما مطلقاً
– غاية الاول الجمال والخير وغاية الثاني الشهوة
– الله موضوع الاول وموضوع الثاني ليلى
– الاول صحة والثاني مرض
– نعم هنالك صلة وثيقة بين التصوف وبين الحب الافلاطوني اذ كلاهما يرمي الى الفضيلة غاية او موضوعاً »

« موسى سليمان »

للمرة الاولى اشهد محاضرة من هذا النوع في قاعة وست هول بالجامعة الاميركية ، وهو ناد يسود افقه الجمال والجلال وتذهب روعته بالنفس الحساسة مذهباً يزخر القلب معه بالفنون وينضج العقل فيه بالمعرفة

كنت اسمع المحاضر الاستاذ موسى سليمان يخطب جمهوراً من الفتية والفتيات بلسانه الذرب وعينيه الاخاذتين وعلى فمه ابتسامة الظافر المطمئن الى اعجاب السامع بما ينقض ويبرم وبين يديه الاستاذ المقدسي يمهد لكلماته في نفوس الحفل الشاخص اليه

ولاول مرة اسمع محاضرة تأكل من وقت السامع ساعة ثم لا يؤذن للنقاش حولها باكثر من عشر دقائق اذ المفروض في النقاش حول الشيء ان يغمره ويربي عليه فليس النقاش تعليقاً ولا تذييلا

ومهما يكن من امر فقد سمعت الاستاذ سليمان ولم يكن في وسعي اذ ذاك ان اعلق على جمله التي صدرت بها هذه الكلمة فاستأذنته ان احتفظ بها لمجلة الاديب واناقشه فيها على صفحاتها :

١) ينفي الاستاذ ان يكون بين الحب الافلاطوني وبين الحب العذري صلة ما ، ولكنه يثبت وجود هذه الصلة بين التصوف وبين الحب الافلاطوني بجامع الفضيلة التي يرمي اليها كلاهما من وراء الغيرية بينما يجد الهوى العذري انانياً محضاً

ثم نجده في نفس المحاضرة يعرف لنا بني عذرة اهل هذا الحب بانهم عرب يمتازون عن ابناء جلدتهم بدقة الاحساس البالغ وعفة النفس ، فهم بتلك الدقة يحبون ويعشقون وبهذه العفة يموتون ، وبعبارة اوضح ، اذا صح ان افسر كلمات الاستاذ دونما استئذان ، يريد ان يقول : بنو عذرة قوم ينطبع الجمال في نفوسهم وتحول العفة بينهم وبين الشهوات فيضحون بذلك النفوس على مذبح هذه العفة .

فهو يعترف بان العفة تصرفهم عن الشهوات وان هذه العفة تميزهم عن غيرهم من القبائل العربية ، وهو يعترف ضمناً بان العفة فضيلة وانهم لو تخلوا عنها لما نسب اليهم العشق المفضي بهم الى الجنون فالموت ، وكما افتخر بنو عذرة انفسهم بهذا العشق متعالين به على غيرهم من العرب

فهل يدلنا الاستاذ على ما يثبت لنا ان العفة والتضحية بالنفس في سبيلها خارجة عن مفهوم الجمال والخير اللذين جعلها غاية للحب الافلاطوني ، وانها خارجة عن مفهوم الفضيلة التي جعلها غاية للتصوف ، وانها بعيدة عن الله الذي جعله موضوعاً للحب الافلاطوني ؟ ؟ ؟

٢) العجب من الاستاذ ان يجعل الشهوة غاية للهوى العذري ثم يثبت ان بني عذرة يموتون دون بلوغها بدافع العفة ولو ارادوا لطرحوا هذه العفة في سبيل غايتهم تلك كما طرحها غيرهم من العرب فلم يموتوا ولم تتغن القبائل باشعارهم من وراء الاكبار والاجلال .

اذن ليست الشهوة غاية لهم وانما العفة هي الغاية اذ بلغوها وضحوا في سبيلها ولو كانت الشهوة هدفهم لتسنى لهم بلوغها بتضحية العفة في سبيل الحصول اليها

٣) كيف يفسر الاستاذ سليمان لنا الجمال اذا اخرج منه الفن الخالد الذي لا يزال بين ايدينا يمثل لنا روعة الحب العذري فيهز مشاعرنا ويدمي قلوبنا وربما كان مبعثاً للالم الذي كان ولا يزال مصدر الفن الخالد في نفوس الشعراء ، كيف يفسر لنا الجمال اذا اخرج منه قول جميل بن معمر العذري :

يقيك جميل كل سوء ، اما له ... لديك حديث او اليك رسول؟
فان لم يكن قولي رضاك فعلمي ... نسيم الصبا يا بثن كيف اقول؟

وقول قيس العامري مجنون ليلى يخاطب قلبه :

وكنت وعدتني يا قلب اني ... اذا ما تبت عن ليلى تتوب
فها انا تائب عن حب ليلى ... فمالك كلما ذكرت تذوب

أفليس هذا الشعر وليد الهوى العذري ؟؟ أو ليست فيه روعة تلعب بالاحساس ؟ او ليست هذه الروعة من صميم الجمال الذي قصره الاستاذ على الحب الافلاطوني وجرد منه الهوى العذري ؟؟

٣) اذا كان موضوع الهوى العذري ليلى فلم لا يكون موضوعه الله ؟؟ ولعل الاستاذ يفهم من اطلاق لفظة الآلهة على المرأة في العصور السابقة انهم يعبدون فيها هذا الجسم المركب من اللحم والدم والعظم على شكل خاص ؟؟

ان هواة الفن عندما يطأطئون رؤسهم بين يدي الاثر الفني فانما يطأطئون لحكمة الفن الخالدة في هذا الاثر والمحب اذا خشع بين يدي حبيبه فانما يخشع للجمال الذي هو سر الله في ذلك الحبيب

ثم ما هو هذا الحب ؟؟ افليس هو الصلة التي تتشابك بها اجرام الكون فتتحقق منها وحدة الوجود التي يخشع لها المتصوف ويهيم بها ؟؟ وهذه الصلة اليست هي اليد التي يمسك الله بها الكون فيتماسك بها الوجود ان لم تكن هي الله ذاته متغلغلة في صميم الاجرام الكونية ؟؟

٤) عفواً يا استاذ ! اتريد ان تحمل صحة الحب الافلاطوني على الحقيقة فيخلد ذووه باجسادهم ام على المجاز فيخلدوا بارواحهم ؟؟ فان اردت الاول فما نجد افلاطون خلد بجسمه وان اردت الثاني فلم نر قيس العامري اقل خلودا من افلاطون اذ يقول :

امر على الديار ديار ليلى اقبل ذا الجدار وذا الجدارا
وما حب الديار شغفن قلبي ولكن حب من سكن الديارا

افنرفع الانسان بولائد عقله الذي هو وليد المجتمع ونضعه بولائد روحه التي هي وليدة الطبيعة ؟؟ على انا نجد الفن الذي هو وليد الروح ابدا اخلد من العلم الذي هو وليد العقل . افلا نخجل من انفسنا اذ نقول : ان الهوى العذري مرض ونحن نغذي ارواحنا به لتصح من مرض المادة الفتاك ؟؟

ومـا احب الى نفسي ونفسك يا استاذ ان نكون مرضى ويتغنى لنا الناس بمثل قول الشهيد العذري :

وماذا عسى الواشون ان يتحدثوا سوى ان يقولوا انني لك عاشق
نعم صدق الواشون انت حبيبة لقلبي وان لم تصف منك الخلائق

فاين المرض ؟؟ هل المرض في ان نحب الجمال ونعف عن العبث به حتى يعصر الالم نفوسنا فيبعث هذه العصارة فناً يهذب النفس ويصقل الروح ؟؟

هل المرض ان تصح اجسامنا بما نبلغها من متع الحياة المادية ونترك الروح تئن تحت عبئها حتى اذا فارقت روح المادي جسمه خفت فيه صوت الحق وكان بعد حين كأن لم يكن ؟؟؟

٥) والعجب من الاستاذ سليمان كيف يجمع بين التصوف وبين الحب الافلاطوني بجامع الفضيلة وحب الخير ثم يفرق بينهما وبين الهوى العذري فيعد الغيرية ، التي هي انكار الذات ، من قواعد التصوف الاولى ثم هو ينكر عفة العذري ويحسب تضحيته في سبيل هذه العفة انانية محضة

فاي انكار للذات ابعد من وقوف المرء بعفته حائلاً بين نفسه وبين شهواتها ، وايثاره الموت عاشقاً عفيفاً على الحياة منغمساً في اللذة الجسدية ؟؟ وان حاول الاستاذ انكار ان الحب العذري يحول بين نفسه وبين الشهوة وان هذه الحيلولة من عادات قومه الذين يشددون في التفريق بين المتحابين فلماذا ينسب العفة البالغة للعذريين ؟؟ ثم لماذا امتاز العذريون دون غيرهم من العرب بهذا النوع المميت من الحب ؟؟؟

اليس في ذلك برهان على انهم كانوا يستطيعون ان يحيوا حياة غيرهم من القبائل يعشقون فيتزاوجون ويقضون على هذا النوع من الحب الشاذ ، اعني الحب الذي يفضي باهله الى الهلاك دون امتزاج الروح بالروح ؟؟

فاذا كان عزوف الصوفي عن الشهوات ليذل جسمه ويعز روحه ثم كان تجاوزه عن سيئات الحية ليفتح طريقاً لروحه الى روحه فتتحدا في الكلي العام بين يدي وحدة الوجود فلم لا يكون تعفف العذري واغفاله متعة جسده ثم تجاوزه عن سيئات حبيبه طريقاً يلجه روح المحب الى روح الحبيب فيتحدان بالروح الكلي في ذات الله ؟؟؟

أفليس ثمة ، وعلى هذا العرض ، صلة بين الهوى العذري والحب الافلاطوني كالصلة بين الافلاطوني والصوفي ترمي الى الفضيلة موضوعاً وغاية ؟؟ فما احرى بنا ونحن نحاضر الشباب المثقف ان نكون ابعد نظرا في عرض الادب التحليلي بين يدي التاريخ !!!

الحو ماني

طه حسين ينازل المازني

لقد انعم الله على طه حسين وعوضه من كفاف البصر ، رفعة القدر ، وبسطة الحال ، وبحبوحة المال ، وعز الوظيفة . ذلك من شأن قسام الحظوظ بين الانام ، فهو الذي يوم ابدع العالم ، فرق على الخليقة شقاءاً وتعساً ، وذلاً وعزاً ومالاً وغنى . ففريق آب بالغنيمة ، وفريق آب بالاياب . ولكم بين من بسم الدهر لهم اناساً كانوا أقمن بعبوسه ، وكم معشر كشرت لهم الخطوب عن ناب القارح ، لو انصف الحظ لسنمهم غوارب العز والمنعة . غير ان ملاً من الناس قد نالوا مراتب وحازوا مكاسب بجهد النفس ، وغلاب الصبر ، وبحق الجدارة وما على هؤلاء من بأس ولا حيف . من هؤلاء الاخيرين الاستاذ « طه حسين » مدير جامعة فاروق بالاسكندرية . فانه بعد ان كتب مقدمة على ديوان شعر صدر حديثاً في مصر لمن لم يكن احد ليحسبهم من الشعراء . وهو عزيز أباظة . فان هذا الشاعر قد ماتت زوجته فخلفت بيته قاعاً صفصفاً ، وكانت في دارها حياة كل شيء فيها فلما ماتت غادرتها جماداً في رماد هامد . فهب بعدها زوجها فنظم فيها الاشعار البواكي مما يصلح ان يلحقه بالخنساء وهي ترثي اخاها صخراً او بالشاعر جرير وهو يرثي زوجته او بالشاعر الفارس محمود سامي باشا البارودي وهو يبكي قرينة حياته . فأعجب طه حسين بشاعرية الاستاذ اباظة ورفعه الى منزلة الشعراء المجيدين . فلم يعجب ذلك الاديب العصامي الكبير ابراهيم عبد القادر المازني فكتب في جريدة (البلاغ) المصرية يفند قول طه حسين ويسفه آراءه في ذلك . فهاج الدكتور طه أيما هياج وكانه الاسد دخل على عرينه أسد آخر . فرد على المازني في جريدة البلاغ يقول : « أؤكد للاستاذ المازني اني آسف اشد الاسف لان الاستاذ عزيز أباظه لم يطلب اليه هو كتابة هذا التصدير ، اذن لكان له رأس كقمة الجبل وذنب كالذي خوف به المنجمون المعتصم حين هم بفتح عمورية وآسف اشد الاسف لان الحكومة لم تكل الى الاستاذ المازني عملي في وزارة المعارف وفي جامعة فاروق . اذن لكسبته الحكومة والادب جميعاً . والاستاذ المازني يعرف ان لابي العلاء قصة مع الشريف الرضي وأظنه يأذن لي في ان اسرق من هذه القصة شيئاً ، فالسرقة في الادب مباحة ولاسيما حين تكون في العلن لا في السر . . . »

ثم ان الدكتور طه حسين جعل يذكر للمازني كلاماً ساقه باسلوب من التعريض عن الحسد وتقسيم الرزق بين الانام وتفضيل بعضهم على بعض . كل ذلك أجراه العميد بسياق يفهمه المازني وحده ويشاركه في فهمه الخلص من مثقفي الادب واقرانه واساتيذه . كان في طليعة هؤلاء الفاهمين الواعين المتوقد ابداً اديب مصر الذكي (زكي مبارك) فشرح هذا التعريف وفصل ذلك الخطاب ولكنه اذ كان يشرح لقراء الرساله المصرية التي كتب فيها معلقاً على هذا الموضوع ومفصلاً ، فاته ان يذكر للقراء حادثة المعري ببغداد في حلقة الشريف المرتضى وتلك ان ابا العلاء حين هبط بغداد شاع فيها مقدمه وخافه المتزمتون من اهل الدين والكاسبون باسم التقى وكان الشريف في المسجد الجامع يشرح قصيداً للمتنبي ويقدح فيه ويكيل له مذمة ونقصاً فقام ابو العلاء وكان في السامعين فقال :

– ان لم يكن للمتنبي من قصيدة سوى التي يقول في مطلعها :

لك يا منازل في القلوب منازل
اقفرت انت وهن منك اواهل . لكفى

فغضب الشيخ المرتضى وأمر بالمعري فطرده التلاميذ خارج المسجد . ولما عاد الى درسه سأله التلاميذ حل اللغز فقال :

– انه يشتمني . لان هذه القصيدة قول المتنبي :

واذا اتتك مذمتي من ناقص فهي الشهادة لي باني كامل

فعجبوا من ذكاء الشيخين وفهم الاديبين .

والى هذه القصة اشار طه حسين ولم يشرحها زكي مبارك . ولم يشر زكي مبارك كذلك الى كلمة السرقة العلنية التي وردت في رد الدكتور طه حسين .

وحديث هذه السرقة يوجز في ان خصوم المازني يزعمون انه سرق قصة « ابراهيم الكاتب » من رأسها الى قدمها من الكاتب « سينان » وهو احد ادباء الفرنجة . ونحن نجل الاديب الكبير عن هذه التهمة . وقد اكتفى زكي مبارك في المنافحة عن طه حسين بلوم المازني لوماً فيه بسمة له وهو يتلقاه وجهاً لوجه . وفيه عنف وجور وهو يتلفت نحو طه حسين . وكان في دفاعه عن العميد مشابهاً المعيز تحتلب اثداؤها فاذا استتم الحلب ودرت درتها بالت على اللبن فافسدته . فلقد مضى مادحاً لطه حسين مظهراً فضله على نهضة الادب مراعياً حقه في نيل المراتب الرفيعة وحين اشرف على الانتهاء من هذا الدفاع رفسه بكلتا رجليه فكان كفرس حسن قياده ، وجمل طراده ثم شمس وحرن . والمبارك ينام قلبه على بركان فاذا استيقظ بعض الشيء اخذ بركانه يتفجر وان فيه لطه لكثيراً من الجحيم .

اما المازني فهو من ثلاثين عاماً راكب الأصابع على القلم ويكاد من النحل ان يلقى في شق القلم فلا يغير من خط كتابته . انه امرؤ سبقه لداته وعلوا عليه المناصب ، وكان من جده العاثر ان يترك مسلك التعليم وكان فيه يوم نضارة عوده ، فاذا الدهر يضرب بينه وبين أقرانه فهم اليوم في اجل الوظائف وفيهم « باشا وبيك » وما زال هو في منزلة « افندي » .

لكن هؤلاء يموتون ولا يحسهم احد . فكأنهم من هوان الذكر ما ولدوا كما يقول شوقي ، اما المازني فيبقى اديباً عظيماً منقطع النظير وقد كان المبارك موفقاً في موازنته الاخيرة بين خلود المازني وخمول رفاقه . لكنه لم يوفق اذ ظن ان الدكتور طه حسين حبيس الوظيفة لو كان من دونها لامعن نجاحاً في الادب . فطه حسين ما عاقه العمل في الحكومة عن النتاج الثمين الذي يبقى على كرور الحدثان وتداول الزمان .

ويحب المبارك ان يكون طريفاً وهو شيخ ظريف وأزهري عتيق ان كبرته كان طه حسين مصغراً . فمن طرافته وظرافته ان يقول بالوساطة بين طه حسين والمازني ولو أتاح الدهر منصفاً كالقاضي الجرجاني لألف كتاباً سماه « الوساطة بين طه حسين وخصومه » فكان من هؤلاء الخصوم زكي مبارك ولعله يتاح لي زمن اكتب فيه مثل هذا الكتاب فأجري القلم متبختراً وهو يتذكر ابا النهضة طه حسين وابنها زكي مبارك واهليها العقاد والمازني واسماعيل مظهر وتوفيقا الحكيم وكلهم خصوم يقضقضون العصل وفي أسرتها الردي شوقاً الى تمزيق طه حسين .

الاحد

زكي المحاسني

دع شؤون المرأة للمرأة !

هذا عنوان كلمة كتبتها الانسة « ابنة الشاطيء » في عدد مضى من « المصور » وكان قد صح عزمي على نقدها في هذا الباب من « الاديب » حين طلع الاستاذ عباس العقاد بنقد لها في الرسالة ، فالفيت فيها بعض ما وددت ان اسجله ، وهو نقد « المرأة لا يكتب عنها غير المرأة » ولم أجد فيه البعض الآخر وهو نقد الكلمة بجملتها ففيها من وهن المنطق وخطل الرأي والتناقض ما ينبغي الا نتجاوز عنه . تقول « ابنة الشاطيء » « ... فان الرجل لا يعرف المرأة ولا يفهمها ، ولذلك يصورها في كتابته مخلوقة اخرى غير التي نعرفها في نفوسنا ونحسها فينا »

ويقول العقاد في تحرير ذلك : « والحقيقة التي اقرها الله واقرها الواقع ان المرأة لا تفهم من شؤونها شيئاً الا كان الرجل افهم منها لهذا الشيء ولو كان من خاصة اعمالها وشواغلها »

وفي هذا الكلام كثير من الحق . ولكن اوسع مجال للاعتراض على الكاتبة هو في قولها « ولذلك يصورها في كتابته مخلوقة اخرى غير التي نعرفها ... »

ولكن لست ادري لماذا تتهافت النساء عامة والفتيات خاصة على تلاوة ما يكتب الرجال عنهن اذا كان في ذلك مخالفة للواقع وللحقيقة ؟ لماذا يجدن في جميع التآليف الغرامية لذةً لا تعدلها لذة ؟ ولماذا يسكتن فلا تكتب احداهن ما ينفي هذا التصوير ، او لماذا لا تكتب الا ما ليس فيه غناء ، ولا تحته طائل ؟ واي دليل تقدم الكاتبة على انهن يجدن فيما يكتبه الرجال امرأة لا يعرفنها ولا يحسسنها فيهن ؟

... « ونحن نسمع في كل آن آراء عن نفسية المرأة وعواطفها وآمالها ... وهذه الآراء يكتبها الرجال متوهمين انها صدى لما نفكر فيه وهي في الواقع غريبة عنا مجهولة لنا (كذا) لا تخطر لاحدنا على بال ... »

الا ترى الى هذا الخطل ؟ لماذا هي غريبة عنكن يا آنسة ، ومجهولة لكن ؟ ايكون الجو الذي تعيش فيه غير جو الانسان؟ او ليس في طوق الانسان ان يتكلم عن اخيه الانسان اذا درسه ويكون في حكمه صادقاً ؟ ام ان فيكن عنصراً غير عناصر الرجل يجعل تفكيركن وادراككن اعمق واصدق من تفكيره ؟ والمؤلفات الضخمة والكتب المستفيضة التي صنفها كبار الكتاب عن المرأة اهي كلها كاذبة لا تصور المرأة التصوير الواقع ولا تتحدث الحديث الحقيقي عن رغباتها وآمالها وآلامها ...

الا ترى ايها القارئ الكريم ان « ابنة الشاطيء » تود ان تجرد جميع ما كتبه الكتاب ، صغارهم وكبارهم ، عن المرأة من كل قيمة ، لامر واحد هو ان في تلك الكتب بعض ما يؤذي المرأة لانه الحق والواقع ؟

... « وغدت المرأة عنصراً بارزاً من عناصر الميدان المنتجة واتسع افقها ونضجت شخصيتها فصارت تعرف لها رأياً قيماً يعنيها من هذه الشؤون وهي اليوم قادرة على ان تذيع هذا الرأي بما لها من نضوج وثقافة للتحدث الانثى اليوم عن الانثى فانها اعرف بها ... »

ما اصوب هذا المنطق . ومن يا ترى يقف في وجه المرأة فيمنعها عن ان تقول كلمتها في الامر ؟ ومتى اصدر الادب والفلسفة قراراً يحظر على المرأة ان تدافع عن نفسها اذا كان ما يقال عنها كذباً وتهافتاً ؟

ام ان المرأة تروم ان يسكت الرجل لتتكلم هي ؟ اذا كان هذا ما تروم فلننتظر عشرين قرناً أخرى قبل ان تفتح المرأة فاهـا لتقول هذه الكلمة « انا مظلومة ! والله انا مظلومة » هـذه الكلمة فقط ، ثم لننتظر بعد ذلك اربعين قرناً اخرى لتقول المرأة « ذلك ان الرجل لا يفهمني » والبقية تأتي . . ولكن بعد ان تقوم القيامة !

وتابع ايها القارىء الكريم كلمة الانسة « ابنة الشاطىء » في نفس العدد من المصور « استقبلت الدوائر . . . ديوان عزيز اباظه بك . . . وهو قصيدة من اروع القصائد اوحتها سيدة عظيمة فاضلة فنطق بها لسان زوجها النبيل . . . واطلب الى كل فتاة تعتز بانوثتها ان تقرأ هذا الديوان لانه تمجيد للانوثة الكريمة الفاضلة »

وقارن بين كلام الآنسة الاول وبين كلامها الآن . . . كانت تطلب الى الرجل ان يتنحى فلا يتكلم عن المرأة ، لانـه لا يعرفها . . . اما الآن فتعجب بهذا الرجل وتـدعو كل فتاة تعتز بانوثتها ان تقرأ هذا الديوان . . . ولكن لماذا ؟ « لانـه تمجيد للانوثة الكريمة الفاضلة . . .

اذن هما رجلان : رجل تكرهه النساء لانه لا يعرفهن ، اعني لانه يؤذيهن اذ يذكر الحقيقة ، ورجل تحبه النساء لانه يعرفهن ، اعني لانه يمجدهن ! !

وتقول يا صاحبي ان المرأة قد تعرف نفسها يوماً ما ؟ ? ! !

سهيل ادريس

١ ــ ابراهيم

ــ كاتب سخيف . . .

قالهـا ابراهيم بعد ان قرأ فقرة من كتاب تناوله مني على رصيف في زاوية الشارع ، واعاده الي ثانية مرفقاً بكلمة الشكر هذه . .

ما أسرعه في القاء الاحكام العامة التي تشمل كل شيء ، فهي [illegible]ـدة مطلقة لا تقبل شذوذاً ، ولا يتغير مضمونها ، يطلق الرأي المبرم على الكتاب ، فهو كتاب جيد او رديء ، من قطعة قرأهـا فيه ، بل لا يتردد في الحكم على المؤلف حكماً باتاً قاطعاً يصف خصائصه ومزاياه ، كأن الكاتب لا يقدم الا نماذج واحـدة لا تختلف ، لونها واحد وقيمتها متساوية ، دون نظر الى العوامل التي تـدفعه الى الكتابة ، او الى تطور التفكير عنده بـين زمن وزمن ، او الى نوع الاختصاص الذي يجيد المؤلف الكتابة فيه .

ويدرس فرد منا شخصية او شخصيات في عصر من عصور التاريخ ، او يدرس بيئة من البيئات فيه ، فيتحدث سريعاً عن كل هذا العصر ويطلق الكلام على عقلية الامـة كلها ، كأن العصر صورة متكررة عن هذه الشخصيات ، او ان عقلية الامة يمثلها فرد او افراد .

وما أكثر ما نقرأ في هذه الايام من الابحـاث التي تتناول ، دفعة واحدة ، حضارة هذا الشعب ، او ثقافة ذلك العصر ، ومـا اكثر الكتب التي تتصدى للحديث الى الصلات او التأثرات بـين امة وأمة . . .

رويـداً ! ان مصائر الامم وخصائص الشعوب ابعد من ان يشملها مثل هذه الاحكام التي تطلقها نظرة طائرة تائهة ، او نظرة لم تعتمد الا على نماذج متعددة قد يكون لها لونها الخاص وظروفها الطارئة ، وشؤون الحياة والفكر أشد تعقداً واكـثر شجوناً من ان يجمعها حكم عام شامل اعتمد على بعض الظواهر القريبة .

وربما كان الحكم ينطبق على الواقع ، وربمـا كان الشذوذ تافهاً لا قيمة له ، ولكن لا شك ان في هذه السطحية في اطـلاق القول اطلاقاً وفي تعميم الاحكام ، خطراً على التفكير ودفعاً بـه نحو السرعة في عمله .

لم تكد هذه المعاني تدور في نفسي حتى عـدت الى ابراهيم ، الواقف امامي : لعله قرأ الكتاب قبل ان يأخذه مني ، ولعله عرف الكاتب في مؤلفاته الاخرى ، فاندفعت بهذا السؤال : ماذا قرأت لهذا المؤلف ؛ اجاب : لم اقرأ له قبل الآن . . .

وكدت أطلق على عدد وافر من مؤلفينا اسم ابراهيم لولا اني أشفقت ان اقع سريعاً في خطأ التعميم . . .

٢ ــ التشجيع

« . . . عرفت علل كثيرين من الادباء الذين نسمعهم في هدأة من الزمن ثم يتوارون عنا ويغيب انشادهم ، وليس باعث ذلك عندي جفاف القريحة او نضوب المعرفة ولكن اليأس من الانصاف الذي اصبح الناس بخلاء به ! المحسنون كثيرون ولكن مـا اقل المنصفين ، هل سمعت واحداً في هذا البلاد يذكر للمحسن احسانه ويعمل على تشجيعه ؟ »

هكذا اجاب الاستاذ خليل هنداوي مجلة الصباح الدمشقية عندما سألته عن سبب سكوته عن النشر . . .

صحيح ان التشجيع فاتر في شرقنا العربي بين الكتاب وقارئيهم ولكن هل على الاديب ان ينتظر التشجيع من القراء حين يكتب ؟ اذن عليه ان يلائم بين ما يخطه قلمه وبين ميولهم واهوائهم ويحدثهم عن مثل عواطفهم . . . وفي ذلك حد من حرية الاديب ، وتضييق لرسالته التي تأبى ان تتقيد برضى ضيق كرضى القراء . . . حياة الاديب كفاح ، يناضل في سبيل آفاق جديدة دون تعثر في التفاته الى رضى البعض او نقمتهم . . .

وفي نفس الاسبوع الذي صدرت فيه الصباح ناشرة كلام الاستاذ الهنداوي حملت مجلة الرسالة الى قرائها كلاماً الدكتور زكي مبارك عن حياة الاديب يقول فيه : ان الاديب الحق ليس اسيراً للوطن ولا اجيراً للمجتمع فكيف يكون اسيراً لفلان او اجيراً لفلان . . . » ونفس هذا التحرر الذي يريده الدكتور مبارك للاديب، نريده من التشجيع الضار الذي يزين له الاشياء على احسن ما تكون . ان التشجيع دافع التقدم ومثير المنجاح ، ما في ذلك شك ، ولكن مما لا شك فيه ايضاً ان تشجيع الادباء لا يكون بهتاف مثل هتاف الاستاذ الهنداوي بشاعر ما . . . في نفس جوابه المذكور « للصباح » ، ولا يكون بوضع نظام يقي الادباء شر التشرد (!) كما اراد وزير الشؤون الاجتماعية في مصر في خطاب له اخيراً . . . انما يكون بدراسة نقدية هادئة تنير له ، وللقراء سبيل الحقيقة وتوجهه وجهة اقوم من وجهته الاولى ، من الاول ، وباستقلال الادب عن كل سلطة تربطه بقوانين وانظمة من الثاني .

ان للتشجيع الهاتف خطرا لا يقل عن خطر الاهمال ، اول اثر من آثاره الغرور القاتل ، وعند ذلك اطمئنان هذا الاديب على الثروة الفكرية التي يملكها او الهبة الادبية التي لم يحس بها قبل الان ، ثم الاستنامة على هذه الشهرة . . . لم افكر بذلك لو كان هتاف الاستاذ الهنداوي بهذا « الشاعر » تشجيعاً يهديه ولا يضله ، فقد كان من نتائجه ان نشرت له زميلتنا الغراء « الصباح » آخر قصائده في صدر الصفحة الاولى ، يحيطها اطار لعله اجمل منها ، ويحيط بالاطار مقالان : احدهما « للمشجع » ، والآخر عن التشجيع الذي يفهمه صاحب توقيع «صياد» بانه ارسال تحية او سلام او كلمة اعجاب . . . الى ذلك الشاعر . .

ولم ينته الامر عند هذا الحد ، فلا شك ان « الشاعر » الذي القاه الهنداوي مثلاً غير مقصود . . . قد قرأ كل ذلك وصدق كل ذلك وداعب آمالا عذاباً . . . فما كان منه الا ان تذكر انه قد ارسل منذ زمن بعيد مقطوعات لاحدى المجلات وكانت هذه تتردد في نشر بعض ما ينظم فكتب اليها يقول : «وان لي شهرة واسعة احسد عليها» . ولا يجهد القارىء نفسه بان يعرف من صاحب هذه الشهرة الواسعة . . . لانه لم يسمع باسمه قبل الآن . . .

« بري »

تطلب الاديب

●

بيروت	من	دار الصحافة والنشر
طرابلس	»	مكتبة زبليط ومن عموم الباعة
زغرتا	»	السيد يوسف بو ديب
حلبا	»	السيد عبدالله محفوض
زحله	»	« السيد جوزيف مطران
بعلبك	»	« السيد علي الاحمر
دمشق	»	السيد عباس الروماني وعموم الباعة والمكاتب
حماه	»	مكتبة السيد عبد الحميد طباع
حمص	»	« السيد عبد السلام السباعي « السيد توفيق الشامي
دير الزور	»	السيد اديب ملوح
اللاذقية	»	« السيد حنا نصره « عكاظ العلمية لصاحبها السيد احمد خالد منزلجي
طرطوس	»	« الاستاذ صالح علي
حلب	»	« السيد جان رزق‌الله كردي
الباب	»	« الشهباء لصاحبها السيد محمد سعيد المكتبي
فلسطين عامة	»	شركة فرج الله للصحافة وعموم المكاتب والباعة
بغداد	»	مكتبة السيد عبد الكريم زاهد
البصرة	»	« السيد ياسر عبدالله السعدي
الموصل		« الشعب : السادة عبد النافع فاضل وسعيد احمد
مصر	»	عموم المكاتب والباعة

وهي تباع : في سوريا ولبنان بـ ٧٥ غرشاً لبنانياً ، في العراق بـ ٧٥ فلساً ، في فلسطين بـ ٨٠ ملاً ، وفي مصر والسودان بـ ٥ غروش مصرية



الواحة

منتخبات شعرية للاستاذ صلاح الاسير – منشورات الاديب

سيقال عن الواحة انها لون من الشعر جديد . وسيقال انها قطعة موسيقية متماسكة . وسيقال انها خيال جامح واحساس مرهف . – كما سيقال ان « الواحة » كلام منمق ، وانها تثائب متقطع ، وانها تشذ احياناً عن اصول الشعر ، واحياناً عن اصول اللغة ، واحياناً عن اصول التفكير . . .

وسيقال عنها بين هذا وذاك . . . اما على صفحات الصحف والمجلات ، واما في زوايا غرف المطالعة ، وكل ما سيقال صواب او قريب من الصواب !

واحسب ان الاستاذ صلاح الاسير توخى – ما استطاع – ان تكون واحته كذلك : لوحات مبهمة ، غريبة الالوان ، ممحوة الاطراف ، كان الشاعر يريد الا يقيد خيال القارىء بحدود ، لانه هو لا يعرف للشيء حدا . كلما رسم صورة بشيء من الوضوح ، خاف ان تفهم على وجه معلوم ، فاسرع الى ريشته . . . ولا تسل عن الاجسام المقصود ، فالمعميات من اسرار نظم الشاعر :

دعي البحر يحلم ، لا توقظيه ونامي على راحة الزورق
وخلي الشموس تنام بقربك سكرى غرام الصباح النقي
اساطير في الشط ، في الازل الحلو ، عذراء ريانة الرونق
وافق يشيع عليه من الوهم لون الغروب ولم يشرق
وفي كوة العين ، من عرية البكر ، آهات خرساء لم تنطق

اين الابيات الاربعة الاخيرة من البيت الاول ، ومن هذا الذي يليها :

وجسمك في الماء ذوب الضياء تسربل في برده الارشق

صلاح الاسير – باللغة المفهومة – شاب في ميعة الفتوة ، يحب ما وراء الاشياء اكثر مما يحب الاشياء ، وربما احب ما قبل الحوادث وما بعدها اكثر مما احبها هي ، فهو ابدا اما متخيل مستحيلا (متسائلاً ما وراء ذلك المستحيل ، اذا كان لهذا السؤال معنى) واما طالب امرا محتمل الوقوع ، او مودع حادثاً حدث ، ولكنه على كل حال لا يطرب لما في يده ، لانه يعيش بالاماني والذكريات . لا يكفيه ان يحب وان تبادله « هي » الحب ، ولا يصف حبه كأمر كان او سيكون ، بل له لذة مريضة في ان يبقى معلقاً بين القلق والاستحالة :

نلتقي نحن في رؤى ، عبر غيب مترف اروع الوثوب ، شرود !

اسمعته قطعة من نظمي هي نغمة صراح على امرأة مستهترة ، وسألته – ولي بذلك مأرب – أن ينتقي عنواناً لهذه القطعة ، فقال : سراب ! . . .

وصلاح الاسير – بلغته هو – جرح أبح في جسم الانسانية البض ، او بسمة اشرقت في الازل ولما يصل نورها الى الابد ، فهي تطوي الزمان ، تزداد شحوباً دون ان تنطفيء ، ولعلها اذ تطل على منفرج الابد ، تختبيء في مئزر الشمس ، وتبقى ناظرة غير منظورة . ولكن مالي اجهد النفس بتعريف هذا الشاعر بلغته ، وفي « واحته » ما يكفيني مؤونة التنميق ؟ اليس هو القائل :

اجوب مدى الظن في هاجس شرود واغرق في المبهم
وألوي غريب الخطى في التراب وعيناي في ملعب الانجم

اليس هو الصارخ :

انا نغمة افلتتها العصور تموت على حلمها الضائع ؟

اليس هو المتمني :

انا يا رمال وددت لو كنت السراب على الرمال
بي من دجى المجهول حلمك انت بالماء الزلال
وتفلت من عالم جهم تخضب بالسؤال
الماء فيه على هدى وانا نجيك في ضلال
. . . لي موعد فوق انسحاب وادعيك غد الخيال .

تلك نفسية صلاح الاسير . شاب متطلع ، يحب كل شيء ، ويحب ما وراء الاشياء ، ويفضل المجهول على المعلوم ، والغامض على الواضح ، والعام على الخاص ، والا فقل لي لماذا يؤثر هذه الالفاظ : « المجهول ، الوهم ، الغيب ، السراب ، السر ، المدى ، القرار . . . » وما اليها ، فلا تكاد تخلو قطعة منها او من مشتقاتها ؟ بيد انه لا يكتفي بالكلمات الفارغة الملأى كالتي ذكرت ، بل يتعداها الى التراكيب الشاذة : « الخاطر الازرق – الخاطر الاشقر – جرح ابح – عتيق الرواء – امتشاق النشور » . . . ولكنه غالباً يتوفق الى تراكيب جديدة وجميلة : الرغبة الخرساء – الابد المطمئن – تولول فيها الطيوب . . . »

شاعر « الواحة » شاب ، يحس انه قطعة من الكون ، فيرى نفسه ذرة مندمجة في الحجر الصلد ، منفلتة في حنايا الغمام ، سافية مع الريح ، جارية مع الماء ، معربدة في الكأس ، جاثمة في المعابد ، متهتكة في المقاصير ، رجراجة في السراب ، مطوية في السر ، تائهة في المدى . . . وتساعد احاسيسه بعض حواسه : العين والانف والاذن ؛ فهو مولع بالالوان الى حد المغالاة (« الخاطر الازرق او الاشقر ») وحاسة الشم عنده جد متيقظة ، فكل واحته عبير وطيب و . . اما الاذن ، فلعلها تطغى على الجميع ، لانه يرى الموسيقى في كل شيء ، بل يرى الكون موسيقى ، وهي ابرز ميزات شعره ، ما خلا بعض القطع حيث تعمد مجاوزة حدود الشعر الى النثر ، فخرج – بتصرف لبق ولكنه ملموس – من بحر الى بحر ، ومن توقيع الى توقيع (نهوند ، الخريف) –

وبعد فالواحة ليست واحة – اعني ليست واحة تامة . ولو تمت لكان وصل الشاعر الى اوجه ، لا سمح الله ، فالمستقبل فسيح امامه . .

انها واحـة ضمن واحة ، فالاستاذ الاسير لم ير من الواحة الا الخمائل الفيناء ، والسواقي الصافية ، والهواء البليل ، والطيور الغريدة . . . الجمال والصفاء ، تدهدهما الموسيقى بشيء من الابهام . انها واحة الامساء ، فلا النهار انصرف ولا الليل استقر ، بل خلود وسكينة ، وهينمات بعيدة ، ولغط في الاوكان والاوكار لا تتبينه الاذن ، وانما يحس بـه الخاطر واجماً . . . والاستاذ الاسير مستلق على ظهره في ارجوحة الحلم ، واضعاً يديه تحت رأسه ، مطبقاً جفنيه ، يسمع بروحه لا باذنيه . . .

وهو بعد مخير بين امرين . اما ان يبقى في ارجوحته مكتفيا . . . وتطلع علينا بعد سنوات « واحات » هي اصداء واحته الاولى . . . واما ان ينهض ويمسح عينيه ، ويتغلغل بين الخمائل الملتفة ، فيعلم ان فيها افاعي شريرة ، ووحوشاً ضارية ، وحشرات موءذية . وان رمـال الواحة ليست كلها مخملية . . . ثم يترك الواحة ويخرج الى فسيح الصحراء ، فتلفعه الهاجرة ، وتلسعه الرمضاء ، ويقرصه العطش ، ويعضه الجوع . فاذا فعل ذاك ، وتابع طريقه في الصحراء لا يبالي ، وصل آخر الامر الى المعمور ، ونشر امامنا واحات جديدة ، ودنى من المجهول تشرق على يديه في المعلوم ، دون ان تفقد من قوتها وخصابها وعمقها وعبقريتها . . .

سيقال عن « الواحة » ما يقال ، ولكنها – وهي شعر صادق جميل – مجموعة تماثيل يخلقها المثال ، والحجر الصلد لين بين يديه ، انما هو لم يهتد بعد الى الصورة المثلى التي يود خلقها .

ولكي توءمن بصلاح الاسير ، اقرأ : « الى قاهرية » و« صلاة عذراء » و« فيصل الثاني » و« الام » فهي قطع تامة الالوان ، صادقـة اللهجة ، طيبة الانسجام ، يلبس فيها الفكر احسن لباسه ، وتحدده الموسيقى موفقة الى حد بعيد ، ناعمة ، باكيه ، صاخبة ، حنوناً . . . سيرا مع الموضوع !

ولكي ترى محاولاته الجريئة ، اقرأ « نهوند » و« اسراء » بل اقرأ المقدمة النثرية : « في الطريق الى الواحة : المثال والحجر » .

هيه يا صلاح ! طوافاً دقيقاً في جوانب الواحة ، والى الصحراء !

سليم حيدر

البرلمان الامثل

للاستاذ رشدي معلوف – مقدمة للاستاذ فوءاد حبيش – تعليق للاستاذ توفيق يوسف عواد – مائة صفحة قطع صغير – منشورات دار المكشوف
مطبعة الكشاف – بيروت

. . . وهذا كتاب جديد ولكن بكل ما فيه ، بموضوعه اولا . لاننا كما لمح الى ذلك الاستاذ حبيش ، على الرغم من ممارستنا الحيـاة النيابية خلال حقبة لا بأس بها من الزمن ، لم يقم فينا من يكتب او يشير الى اثر ذلك النظام فينا وكيفية تطبيقه تطبيقاً يعطي ثماره الناضجة ، او تعديله بصورة تتلاءم مع طبيعتنا واستعدادنا !

صحيح ان الصحافة تناولت هذا الموضوع في غير مناسبة وكتبت به كثيرا ، ولكنها كشأنها في كل ما تكتب عندما تلم بالموضوع الماماً ولا تتطرق الى اعماقه وتتغلغل الى روحه بفهم دقيق !

وقـد يحسب البعض ان الاستاذ رشدي معلوف بحث موضوعه من الوجهة الاصولية ، شارحا لنا نشأة الفكرة وتطورها خـلال الاعصر ، وكيف يجب ان تكون بحسب تقلبات هذا العصر ؛ لا . فالبرلمـان الامثل عند رشدي معلوف هو ادخـال العناصر المثقفة الراقية الى المجلس اعني المجلس اللبناني لا كما كان يتم ذلك في الايام السابقة من احتواء المجلس على العناصر التي قد تفكر في كل شيء الا بصالح البلاد ورفاهية اهلها . وقد حمل الكاتب على هذه الفئة معددا اسماءها ، طالباً ان تحـل محلها فئة تقدر على العمل ، وتريد ان تعمل وتعمل مـا تريد . . . كما حمل على ما يسميه النخبة الاعتزالية التي تنصح بالخير ولا تعمله ، وقـد علق الاستاذ توفيق يوسف عواد على مقـالات الاستاذ معلوف ، موافقاً حيناً ، معارضاً حيناً آخر ، وقد ادى به الكلام الى امر من الاهمية بمكان عظيم . . . يجب ان يقوم في البلاد حزب قوي تأتلف فيه شتى القوى والاراء وتصهر فيه كل النزعـات ، مخالفاً في ذلك رأي الاستاذ معلوف القائل بان القضية قضية افراد في الدرجة الاولى وليست قضية احزاب !

وعسى ان تتحقق آمال الكاتبين فيكون اعضاء المجلس يتحاون بالفهم والاخلاص والموهبة التي يتمناها الاستاذ معلوف في اعضاء المجلس الجديد وترتعش البلاد ارتعاش الوطنية الحقة فيتألف الحزب الذي يعـبر عن نزعات ابناء البلاد ويمثلها اتم تمثيل كما يريد الاستاذ عواد .

الخلاصة ان هذا الكتاب – وهو مجموعة مقالات نشرتها مجلة الجديد ، لا تخلو من فائدة في هذه المرحلة من حياتنا النيابية .

ا . م .

حواء

مجموعة شعرية للاستاذ محمد علي الحوماني
مطبعة الكشاف – بيروت

« حواء » تبعث في النفس من المشاعر والاحاسيس مـا تبعثه كل حواء : الواناً من الهوى والروعة والجمال ، وضروباً من الفتنة والسحر والاغراء ، واشكالا من الخيالات تحمل الروح الى اجواء عاطرة بالاحلام ، زاخرة بالصبابات . . .

والاستاذ الحومـاني يحمل القارىء الى جوين : جو لائع باك لهفان تتردد اليه ذكريات هوى صادق شريف ، وتكتنفه احلام عاشقين نعما حيناً من الزمن باعمق حب واطهر غرام ، ثم تتقطر على جنباته وانحائه دموع برتها فاجعة موت الحبيبة ، فحملت من اللوعة والشجو والاسى ما يذيب الفوءاد ، ويرمض النفس . وجو مشرق حالم مغر تخضبه صبوات نفس مشوق ، وتطرز حواشيه نزوات شهوة عارمة تعبر عن مآربهـا وغاياتها وتتوصل احياناً الى ان تثير القارىء . . .

وهكذا يكون ديوان « حواء » مزيجاً من الحب العفيف الصادق ، ومن الهوى القوي الجارف مزيجاً من اللوعة المشجية ، ومن الفرحة والرضى . ولسنا ندري بعد لماذا قدم الموءلف لديوانه بتلك القصة المحزنة التي لا تعبر الا عن قسم ضئيل من شعره ، او لا يعكس طواياها الا جملة من الكتاب ، وليست هي الكتاب كله ؛ فمقطوعات « من وحي الدموع » فقط هي وحدها التي يمكن ان تعبر تعبيرا صادقاً عن تلك القصة ؛ امـا مقطوعات من « وحي القبل » ومن « وحي النهود » وهي تشكل قسماً

كبيرا من الديوان ، فلا تصدق على تلك المأساة التي حوتها القصة ، بل تكاد تعبر عن عكسها !

ومهما يكن من امر ، فالشعر بجملته رائع عذب رقيق يلذ القاريء الى ابعد حدود اللذة لمزايا ست : روعة الوصف وجمال التعبير ، وسعة الخيال وانطلاق الفكر ، وعمق النظر وبعد المغزى ، وصراحة القول عما يعتلج في الصدر ، ووضوح الصور وجلاء المعاني ، واخيرا اللوعة الصادقة في بعض المقطوعات

اما المزية الاولى فقد نتجت عن ان الشاعر يقتطع الصورة التي يصف فينقلها الى صور اخرى مشابهة ، ثم يحملها الى صور اخرى مشابهة ، ثم يحملها الى نفسه ويريق عليها احاسيس عذبة حلوة . فاذا هو يخرجها لك مكتملة تامة رائعة تخفق بالحياة والجمال .

كلما ادنيت منها كبدي ... لصقت بي وتلظت شفتاها
فكأن الخمر احمت دمها ... فذوت عينين واحمرت شفاها
وكأن الافق لما قبلت ... فجره شمس الضحى قبل فاها
خفقت روحي على مبسمها ... فتراءت لي شيئاً من لماها
سألتني ما ترى قلت فما ... حققت عيني به اسمى رؤاها
وشفاهاً يترضبن دمي ... ويلون المنى حتى اراها . .

كل ما رآه عينان ذاويتان، وشفتان محمرتان ، فاذا هو يخرج ثلاث صور تفوق كل منها الاخرى جمالا وعذوبة . فكأنه الخمر اثار دمها فاحماه، فاحمرت منه شفتاها ، او هما احمرتا كأنما الافق الذي قبلته شمس الضحى ، قد لثمها ، فصبغها احمرارا ؛ او هما كسيتا هذا اللون بعد ان تقمصتا دم شفتيه هو تقمصاً . وانظر الى هذا الخيال الرائع في قوله « ويلون المنى حتى اراها » . وقد ردد الشاعر ذلك التشبيه في قوله في « الغنج والحور »

كم حالم يتمنى ان يرى دمه ... على شفاهك منظوماً ومنثورا .

وتعزو هذه الروعة مرة اخرى الى تسلسل هذه الصور وتوفقها في تلك التعابير المشرقة :

ماذا تظنين بي والافق يرمقنا ... تحت الظلام وعين الحب ترعانا . .
وقد تدفق نور الفجر منبثقاً ... من صدرك الغض يوحي الشعر الوانا
ماذا تظنين ، هل اصحو صباحئذ ... فاتني عنك ام اغشاك نشوانا
ادنيت منك فماً يروى الاصيل به ... ويلفظ الصبح من عينيك ظمآنا

وانت مستشعر في كثير من تلك الابيات وفي غيرها روحاً خفيفاً يتحلى به الشاعر فاسمع قوله :

. . ادنيت من فمها صدري وقلت لها ... جسي اني يقظة ما نحن ام حلم
فاجفلت جزعاً ثم ارعوت ودنت ... مني مفرعة . . لكن فماً لفم . . .

وقد تلوت مقطوعة صغيرة وفق فيها الاستاذ الحوماني الى أبعد حدود التوفيق في تصوير الفناء . . . فناء العشيق في عشيقته ، واتحاده بها وفيها يقول :

. . كأنك كنت في جنبي نورا ... طغى بين الحشا والناظرين
احلتك في دمي فسكنت حتى ... ذهلت فما اراك ولا تريني
بعدت ارى بلا عينين غصناً ... جنيتك من ذراه بلا يدين

وللعيون في ديوان «حواء» مكان كبير، واخال ان الشاعر اوتي موهبة عجيبة في استكناه اسرار العيون وسبر غورها . وله منها ايحاء خاص : ففيها يستطيع ان يرى عالماً واسعاً ويرى ان المكان لا يسعه فيها :

واراني همت في الارض فما ... وسعت رقتها بعض مكاني
وعلى اهدابها يرى كل شيء ، ويجلو كل جميل :

وتبينت على اهدابها ... روعة الفن وايحاء الضمير
بعينيك ابصرت وجه الحياة ... وفي غير عينيك لا ابصر
قولي لعينيك ماذا كان من كبدي ... حتى تضرجتا من افقه الدامي

وما اعمق هذا الخيال :

حلمت مقلتاك بي قبل الفجر ... فماً في فم وخصرا لخصر
فاذبنا النجوم حتى ترامت ... في جيوب الصبا سبائك در
فاذا الانجم المذابة دمع ... فوق خديك من شفاهي يجري
واذا الفجر هذه النسم البيض ... على الافق من شفاهك تسري

وتستطيع أن تجد الى جانب هذا الخيال الواسع المرن افكارا عميقة ، ومعاني ليست الا ظلًا للحقيقة . وهنا يبدو شاعرنا الحوماني بعد ان رأيناه شاباً طلقاً وثاب الخيال ، رجلًا علمه الزمن الحقيقة واطلعه على بعض اسرارها . وذلك ظاهر في قطعة « الحقيقة الضائعة حيث يقول :

جهلت الحقيقة بين القصور ... وانكرتها في ظلال الشجر
تلمستها في صميم الحياة ... وفتشت عنها بطون السير
اسائل عنها جهيم الظلام ... وانشدها تحت ضوء القمر
فما جر العين منها الضياء ... ولا رن في السمع منها الوتر
ولما توسدت بين القبور ... ضريحك ادركت بعض الاثر
وقلت الحقيقة تحت التراب ... ورمز الحقيقة هذا الحجر

واستمع الى هذه الابيات الثلاثة تقدر ما أوتي الشاعر من عمق في النظر وروعة في التعبير :

يا ليت عينك لي اذن فاسمع ما ... لا تبصر العين من وحي والهام
او ليت اذني مرآة تري بصري ... ما لا يعي فيك من وقع والهام
حتى يلذ لعيني ما تعي اذني ... وتستوي فيك آمالي وآلامي

فهو لا يكتفي من العين بما ترى، ولا من الاذن بما تسمع، وانما يتمنى ان تكون عينها اذناً له ليسمع ما لا تبصر عينه، وان تكون اذنه عيناً ليرى ما لا تعي اذنه، فينال بذلك لذة مزدوجة فيها وتستوي لديه عندها آماله والامه . وهذا معنى بلغ منتهى الروعة .

وانتقل الان الى مزية الصراحة عند الشاعر . فهو لا يستنكف من ذكر كل ما يجول في فكره، وكل ما جرى له . ولعل القارىء يستطيع ان يستشف من هذا كله خلق الصدق عند الشاعر، هذا الخلق الذي كدنا نفقده عند أكثر شعرائنا المحدثين : وفي هذه الصراحة نفسها، كما الذي تستهدفه من صور ومعان ، ما يدعو الى الاعجاب . فمقطوعات من « وحي النهود » رقيقة حلوة وان كانت تتجاوز الايماء احياناً الى التصريح المكشوف . وهذا ما اردت ان اشير اليه حين قلت ان هذه المقطوعات لا تنطبق بحال على ما في المقدمة « بين يدي حواء » لان الشاعر يظهر في هذه الاخيرة شاباً عفاً كريم النفس تضنيه اللوعة والاسى والذكريات المحزنة، بينما يبدو في تلك شاباً متعطشاً تضنيه الشهوة والجسد وذكريات الليالي الحمراء .

ولعل القاريء قد لمس معي هذه السهولة تترقرق بين الابيات، وذلك الوضوح الذي لا يدع للقارىء اي مجال لان يقاسي ويتعذب في الفهم والادراك : ولعل هذه اعظم ميزة في ديوان الشاعر . واخال ان ذلك راجع الى ان للاستاذ الحوماني موهبة يغبط عليها : هي موهبة اللغة الغنية والاسلوب السلس والديباجة المشرقة .

وتلمس ايها القاريء الكريم هذه السهولة الرقراقة في قول شاعرنا :

اتمناك واخشاك فهل عند عينيك لعيني امان
كم تحريتك يجري قلم من مآقي وتبتل بنان
انشد السر الذي كان له منك في جنبي خفق وحنان الخ

او في قوله :

لياليك في بيروت كثر وانا رواثهن اللاتي بسمن ثماني
يجلين في مرآة نفسك لحظة واشرقن في جنبي بضع ثواني
وكن كباشاه الهوى جهد ماتري عيون وتشقى خلفهن اماني الخ

هذا عرض -ولا اقول دراسة- للنزعات الرئيسية في ديوان حواء، ولعل في طوق القاريء ان يتخيل منه جو الشاعر : المرأة ! هي لديه كل شيء ، هي الهادية، والقائدة، والمهذبة . لديها الجمال واللذة لا جمال بعده يتملى ، ولا لذة بعدها ترتشف . والحب هو كل شيء : هو الحياة والامل.

هذا ويجب ان نشير قبل ان نختم هذا المقال الى بعض ابيات يظهر ان المؤلف تكلف فيها حتى جاءت هكذا يمجها الذوق ولا تستسيغها الاذن الموسيقية . من ذلك قوله

امن الفن كنت اذ كنت في العا لم ام كنت عالماً للفنون
جن فيك الحكيم. فافتن حتى كنت في فيه حكمة المجنون
اتناساك والعوالم فوقي واناجيك والعوالم دوني
افكالناس كنت فيهم وسوا ك ابوهم من صلصال مسنون
.. انما كنت كيفما شئت اذ قا ل لك الله كيفما شئت كوني

فترديد كلمات «كنت» ثلاث مرات ، و«الفن» مرتين ، و«العالم» مرتين في بيت واحد غير مستحب ، وترديد «جن» مرتين و«الحكيم» مرتين و«في» ثلاث مرات في بيت واحد غير مستحب كذلك ، وترديد «الدين» مرات كثيرة يمجه الاذن ، وهكذا الشأن في سائر ابيات هذه القصيدة او المقطوعة . واظن القاريء يوافقني على ذلك . ومثل هذا قوله

حتى كأني ابوك معا يشنك زين يزنك شيني

اما بعد ، فيخيل الي اني لم اوف هذا الديوان حقه من الدراسة والبحث رغم هذا المقال المستفيض ، واخشى ان اكون شوهت بعض ما نقلت عنه ، حين اقتطعت منه اقتطاعاً للاستشهاد .

وايا ما كان ، فلا يسعني الا ان ادعو القاريء الى قراءة هذا الديوان الرفيع قراءة تامة ، ولعله اذ ذاك يشعر ببعض ما اشعر به من اعجاب .

سهيل ادريس

اطوار الحكم في لبنان

من مطلع الانتداب حتى الان

للاستاذ روبير ابيلا — ١٠٠ صفحة — منشورات الانباء — بيروت

... وهذه خدمة جديدة يضيفها نقيب محرري الصحافة اللبنانية الاستاذ روبير ابيلا الى خدماته الكثيرة السابقة في سبيل الصحافة وتيسير الوسائل التي من شأنها ان تساعد مهمة المحرر في كتابته عن لبنان وتاريخه السياسي . فهذا الكتاب يضع بين يدي المحرر نصوص صك الانتداب والدستور اللبناني مع ايراد جميع التعديلات التي ادخلت عليه وقانون الانتخابات النيابية ثم جداول تسرد جميع المفوضين الساميين ، وحكام لبنان ، مع ذكر تاريخ استلامهم مراكزهم ، وتسرد اسماء اعضاء المجالس النيابية واعضاء الوزارات المختلفة التي توالت على لبنان في هذه الحقبة الاخيرة من الزمن : منذ اعلان استقلاله حتى الان .

وينتهي الكتاب ببعض برامج المرشحين للنيابة في الانتخابات الاخيرة .

ومن يعالج الكتابة في السياسة اللبنانية المحلية يشعر بعظم هذه الخدمة القيمة يقدمها له مؤلف الكتاب وخاصة والبلاد في مطلع عهد دستوري جديد .

اخفاق الفاشية

للاستاذ عصام الدين حفني ناصف — ٥٦ صفحة

مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر — القاهرة

ليس هذا الكتاب اول ابحاث الاستاذ عصام الدين ناصف في النظم الاجتماعية والنزعات السياسية التي تعيش في العالم اليوم ، فقد سبق له ان وضع وعرب دراسات شتى ، فضلاً عن القصص الاشتراكية التي عربها عرب كتاب الاشتراكية الديمقراطية لباول كامفاير والف عن التجديد الاجتماعي ومبادىء الاشتراكية والمسألة الاشتراكية وغيرها . . . وقدم اخيرا ، وفي آب ١٩٤٣ لقراء العربية بحثاً عن الفاشية واخفاقها ، فيدرس فيه نظامها وما يتعلق به درساً وافياً ويلقي ضوءا على موقف الشرق العربي من الفاشية وكفاحه ضدها، ويعرض للنظم المتعددة التي تصطرع في اصقاع الارض ويقارن في جدول ضاف بين النظامين الرأسمالي والاشتراكي وبين طرق الانتاج فيهما ، ثم بين الاعراض الاقتصادية في كل نظام ، وينتقل في فصل آخر فيؤرخ للديمقراطية ويسير معها منذ نشوئها وتطوراتها المختلفة ومميزاتها في كل طور ثم صراعها مع الفاشية . ثم يعرف الفاشية ويبين مهمتها وخصائصها وتفسير معناها الاقتصادي الذي يتمثل بوجود الحزب الفاشيستي في ايطاليا والحزب النازي في المانيا ، وحياة الطبقات المختلفة فيها ، وينتهي من هذا العرض الشامل لحياة الفاشية في مختلف البلدان الى توجيه نصيحته الى كل انسان لكي يحارب الفاشية ويكافحها لانها تعمل لوقف العالم عن التقدم وتجارب الشخصية القوية والتفكير الحر والنقد الطليق وتلقي العالم في حروب مستمرة لا تنتهي وتقدس القوة وترى ان الحق لهذه القوة .

دليل الاصطياف والاشتاء في سوريا ولبنان

للسيد اسكندر بارد

لا يزال السيد اسكندر بارد يوالي جهوده في سبيل خدمة السياحة في سوريا ولبنان ، هذه الجهود التي يرجع تاريخها الى ثلاثين سنة ، والتي تتمثل اكثر ما تتمثل في هذا الدليل الذي يواظب على نشره كل عام مع ذكر اهم المصايف والمشاتي ومميزات كل منها وقد قدمه هذا العام لاعضاء المؤتمر الطبي العربي الذي سيعقد في الاسكندرية ١٩٤٣ . ولا شك في ان السيد بارد بنشره هذا الدليل ، بالرغم من العراقيل التي تقف دون نشره من ازمة الورق والطباعة وغيرها ، يقوم بخير دعاية للبنان وسوريا نرجو من حكومتي البلدين ان تقدرها حق قدرها فتشجع المؤلف على مواصلة جهوده في هذا الميدان

مجمل الاحداث السياسية والحربية في شهر

لندن ٢٨ آب – توفي الملك بوريس ملك بلغاريا في صوفيا على اثر مرض قلبي مصحوب باضطراب في الرئتين . وقد تولى نجله البالغ السادسة من عمره العرش تحت اسم الملك سيميون الثاني ، وسيقوم بشؤون الملك مجلس وصاية حتى يبلغ الملك سن الرشد .

لندن ٢٩ – تطورت الحالة في الدانيمرك تطورا خطيرا انتهى بان اعلن القائد الالماني العام الاحكام العرفية في جميع انحاء البلاد .

بيروت – جرت الانتخابات النيابية في جميع انحاء لبنان وقد وقع البالوتاج على عدة مقاعد في جبل لبنان وبيروت ومقعد واحد في الجنوب

لندن ٣٠ – جلا الالمان عن تاغنروغ على بحر آزوف . وقد دمر الالمان قبل رحيلهم كثيرا من المنشئات التي لها قيمة حربية .

وشنطن – قدم المستر سمنر وِلز وكيل وزارة الخارجية الامريكية استقالته اليوم .

لندن ٣ ايلول – وطد الحلفاء اقدامهم في عدة اماكن من ايطاليا فانزلوا جنودهم بين ريجيو وسان جوفاني ، تحميهم ٥ بوارج واكثر من مئة سفينة ، وتقدم البريطانيون على طريق الساحل حتى لقيهم الالمان والطليان ودارت بين الفريقين معارك شديدة .

الجزائر ٤ – استولت القوات البريطانية والكندية على منطقة ريجيو دي كالابريا بعد ساعتين ونصف ساعة من نزولها الى البر واستولت اول فصيلة كندية على اول خط من الحصون القائمة فوق التلال .

لندن – استولى الحلفاء على ريجيو وعلى المطارات الواقعة في الجهة الجنوبية منها ، واستولوا ايضاً على سان جيوفاني .

موسكو – تقدم الروس تسعة اميال وخمس عشرة ميلًا في دونباس واستولوا على ملتقى السكك الحديدية في ديبا لتسيفو وجورلوفكا وهكذا طهرت منطقة فوروشيلوفغراد من العدو تطهيرا تاماً . وقد استولى الروس ايضاً على مدينة ميرينا ، وملتقى السكة الحديدية المعروف بهذا الاسم في منطقة خركوف .

لندن – اغارت قوة كبيرة من طائرات « لانكستر » البريطانية على برلين ، وقد قذفت ما حمولته الف طن من القنابل الشديدة الانفجار والمحرقة في غارة دامت ٢٠ دقيقة . وهذه هي المرة الثانية التي تهاجم فيها العاصمة الالمانية خلال اسبوع واحد .

الجزائر ٥ – استولت وحدة من جنود الكوماندوس (الفدائيين) على بانيارا ثم التحقت بها القوات الرئيسية وقد اخلى الايطاليون مدينة ميليتو .

لندن – نزل لواء من المشاة البريطانيين الى البر في بالمي على بعد نحو ستة اميال شمال بانيارا في الطرف الغربي من نقطة ارتكاز الحلفاء في كعب الحذاء الايطالي .

دمشق – اعلن نصوحي بك البخاري وزير الدفاع السوري ، إن سوريا ستقوم بتأليف جيش يتولى الذود عنها .

بيروت ٦ – بعد انجاز الانتخابات اصبح المجلس النيابي الجديد يتكون من السادة الآتية اسماؤهم :

بيروت : سامي الصلح ، عبدالله اليافي ، صائب سلام ، الفرد نقاش ، حبيب ابو شهلا ، ايوب ثابت ، الحاج محمد بيضون ، دركلوسيان ، شاماليان

الشمال : عبد الحميد كرامي ، سعدي الملا ، محمد المصطفى ، كمال العلي ، محمد العبود ، حميد فرنجيه ، يوسف اسطفان ، وهيب جعجع ، بطرس الخوري ، يعقوب الصراف ، نقولا غصن

البقاع : ابراهيم حيدر ، صبري حماده ، رفعة قزعون ، يوسف الهراوي ، اديب فرزلي ، هنري فرعون ، نسيب الداود .

في جبل لبنان : بشاره الخوري ، اميل لحود ، وديع نعيم ، كميل شمعون ، سليم تقلا ، مجيد ارسلان . اميل اده ، امين السعد ، جورج زوين ، وديع الاشقر ، جورج عقل ، اسعد البستاني ، احمد الحسيني ، غبريال المر ، عبد الغني الخطيب ، كمال جنبلاط ، جميل تلحوق .

الجنوب : رياض الصلح ، عادل عسيران ، رشيد بيضون ، احمد الاسعد ، محمد الفضل ، كاظم الخليل ، علي العبدالله ، يوسف سالم ، مارون كنعان ، نسيب غبريل .

لندن ٦ – قالت وكالة الانباء الالمانية ان الجلاء عن الجزء الجنوبي من كالابريا تم بامر السلطات الايطالية والقيادة العسكرية الالمانية .

الجزائر – استولى الجيش الثامن على سان ستيفانو وسبرومنتي وروبينو وفيومارا وسانتالوشيا وسان روكو

لندن – شنت الطائرات التابعة لقيادة الضرب غارة عنيفة على مانهايم ولودفيشافن وهما من اهم مراكز الصناعة الكيمياوية والاسلحة .

موسكو – احتلت القوات السوفياتية الزاحفة في منطقة دونباس مدينة ميكافكا ثم احتلت كذلك مدينتي كراماتور سكايا وسلافيانسك . واحتلت القوات الروسية في شمال اوكرانيا مدينة كونوتوب وهي ملتقى مهم للخطوط الحديدية بين كورسك وكياف .

القاهرة – دارت مخابرات رسمية بين رفعة النحاس باشا رئيس الحكومة المصرية وبين الرفيق مايسكي نائب وزير خارجية روسيا ، كانت من نتيجتها ان العلاقات بين مصر وروسيا قد انشئت منذ ٢٦ آب الماضي . ويقضي الاتفاق الذي تم بين الطرفين بتبادل الوزراء المفوضين في وقت قريب .

ملبورن ٧ – شنت قوات الجنرال ماك ارثر البرية والبحرية والجوية هجوماً عاماً على حصن لاي مقر اعظم قوة يابانية في غينا الجديدة .

واشنطون ٨ – عاد المستر تشرشل الى واشنطون وقد اجتمع مع المستر روزفلت في البيت الابيض مرات بحضور اركان حربها .

لندن – احتلت القوات الروسية مدينة ستالينو الصناعية الهامة في حوض الدونتز فقد اعلنت القيادة الالمانية ان قواتها اخلت مدينة ستالينو بعد تدمير المنشآت العسكرية . وستالينو هي اكبر مدن الدونتز الصناعية وقد مضى على وجودها في ايدي الالمان سنتان واعادوا بناء المصانع فيها خصوصاً مصانع الفحم .

واشنطون – نشرت وزارة الخارجية الاميركية نصوص المراسلات التي تبودلت بينها وبين وزارة الخارجية الارجنتينية ، والتي

رفضت الولايات المتحدة بموجبها رفضاً باتاً مطاليب الارجنتين للتسلح والتجهيز بالزيوت ، وبالتالي منحها حق الاستفادة من قانون الاعارة والتأجير .

الجزائر – استسلمت جميع القوى الايطالية المسلحة بلا قيد ولا شرط الى الحلفاء والقت سلاحها معلنة وقف القتال .

لندن ٩ – نزلت القوات الاميركية في منطقة نابولي حيث اشتبكت مع الالمان في معارك عنيفة .

لندن – ذهب الجنرال ايزنهاور الاميركي الى ايطاليا واجتمع بالمارشال بادوليو .

لندن – اذاع الراديو الالماني انه تألفت حكومة فاشستية ايطالية باسم موسوليني وقد سمى الراديو الالماني هذه الحكومة « الحكومة الفاشستية الوطنية » . لندن – وضع الالمان ايديهم على مقاليد الامور في ميلانو وفي مدن اخرى في شمالي ايطاليا .

موسكو – استولت القوات الروسية على مدينة باخماش نقطة تقاطع السكك الحديدية المهمة ومركز مواصلات الالمان والمعقل الحصين في اتجاه كييف . برن ١٠ – بعث المارشال بادوليو برقية الى هتلر ابدى فيها الاسباب التي حدت بالحكومة الايطالية الى الاستسلام . ومما جاء فيها ان الدفاع عن ايطاليا قد انهار وان تقدم الحلفاء لا يمكن ان يحول دونه حائل وقد شلت الصناعة في البلاد ونفدت مواردها وقضي على منشآتها ومرافئها .

لندن ١١ – نشرت في لندن نصوص الهدنة مع ايطاليا ، وقد وقع هذه الهدنة في ٣ ايلول ممثلون عن الجنرال ايزنهاور قائد الحملة الحليفة وعن المارشال بادوليو . ومما جاء في هذه الهدنة وقف كل الاعمال العدائية ضد الحلفاء ، تسليم الاسرى الحلفاء الى القيادة الحليفة ، نقل قطع الاسطولين البحري والجوي الى قواعد حليفة واستخدامها في اعمال حليفة .

لندن ١٢ – احتلت وحدات الجيش الثامن كانتزارو وفازيا واوفيميا واحتلت قوات اخرى برنديزي .

لندن ١٣ – جاء في بلاغ خاص الماني ان قوات الحرس الخاص قد انقذت موسوليني الذي كان بادوليو قد اعتقله .

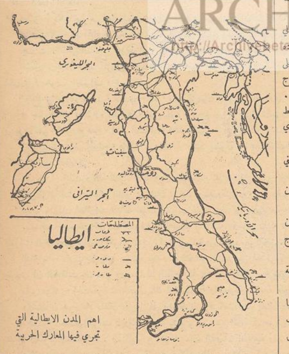
لندن ١٤ – يدور القتال بعنف ورهبة في منطقة سالرنو وبينا يعزز الالمان قواتهم بالدبابات والمشاة تتدفق الامدادات على الجيش الثامن الذي يهاجم بدوره القوات المعادية . والمعركة بين الفريقين لا تزال ترتدي طابع المرونة .

طوكيو – جردت السلطات البحرية اليابانية من السلاح الجيوش الايطالية والسفن الحربية التي توجد تحت رقابة اليابان في آسيا . وقد صودرت الاملاك الايطالية في الاراضي التي تحتلها اليابان ووضع المدنيون الطليان تحت المراقبة .

الجزائر ١٥ – يتقدم جيشان حليفان نحو منطقة سالرنو : الاول بقيادة الجنرال مونتغمري وقد احتل امس « كوزنزا » وتبعد اقل من مئة ميل عن ساحة سالرنو ويزحف الثاني على الساحل الشرقي وقد احتل مدينة باري .

موسكو ١٦ – احتلت القوات الروسية مدينة نجين .

نيويورك ١٦ – اعلن موسوليني نفسه رئيساً للحكومه الفاشستية الجديدة في ايطاليا بعد مرور ٥٢ يوماً على خلعه . وعهد الى بافوليني محرر جريدة المساجيرو بسكرتيرية الحزب الفاشيستي وامر بان يعود كل من خلعه بادوليو الى منصبه ، كما انه الغي الملكية واعلن الجمهورية .



اهم المدن الايطالية التي تجري فيها المعارك الحربية

لندن – انتحر المارشال كاباليرو رئيس اركان حرب الجيش الايطالي فجأة في روما ، والمرجح ان القائد الايطالي قد تأثر من استسلام بلاده فآثر الموت . موسكو ١٧ – انقضت جيوش القوقاز الشمالي على مدينة ومرفأ نوفورسيسك واحتلتها وفي الوقت نفسه كانت البوارج السوفياتية في البحر الاسود تنزل الفصائل الروسية في مرفأ نوفورسيسك . وفي جنوبي بريانسك اجتازت الجيوش السوفياتية نهر الدسنا في عدة نقاط واخترقت الخط الدفاعي الذي اقامه الالمان على ضفة النهر الغربية والذي سموه بالجدار الالماني الشرقي ثم احتلت مدينة نوفغورود – سيفيرسكي .

موسكو ١٩ – حررت الجيوش السوفياتية مدن بريلوكي وروومني وبرياتين ولوبني وكوغرود وكراسنوغراد وبافلوغراد .

موسكو ٢٠ – احتلت القوات الروسية مدينه تروبتشفسك بعد ان اخترقت جبهة نهر الدسنا في جنوبي بريانسك .

الجزائر – جلا الالمان عن جزيرة سردينيا بعد ان هاجمهم فرقتان ايطاليتان تعسكران في الجزيرة . القاهرة – ترك الملك جورج اليوناني القاهرة وتوجه الى لبنان باشارة من اطبائه .

نيويورك – احتل الاحرار الفرنسيون والجنود الايطاليون مدينة جاكسيو عاصمة جزيرة كورسيكا .

الجزائر – تقدم الحلفاء في ايطاليا في منطقة تارنتو واحتلوا جيوجيا

بيروت ٢١ – اجتمع المجلس النيابي اللبناني الجديد للمرة الاولى ، فانتخب معالي صبري حماده رئيساً للمجلس النيابي ، ثم اجري انتخاب رئيس الجمهورية ففاز فخامة الشيخ بشاره الخوري بالرئاسة .